# من أجل سوسيولوجيا الشباب المغربي.

**د. عبد الخالق سداتي- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة ابن طفيل، القنيطرة - المغرب.**

**ملخص:** تهدف هذه الورقة البحثية إلى تقديم مساهمة علمية حول سوسيولوجيا الشباب كحقل هام في حقل علم الاجتماع، من خلال تفكيك وقراءة الأبعاد المتعددة المكونة له، برؤية سوسيولوجية تسمح لنا بالمساهمة في إثراء وتوسيع زاوية الفهم حول الفئة الشبابية وبصفة خاصة في المجتمع المغربي، بالتطرق إلى عناصر تمثلت في خصائص هذه الفئة وتمثلاتها في المجتمع، مع التنويه إلى إبراز إسهامات المهتمين والمنظرين المشتغلين في هذا المجال ومساهماتهم في إماطة اللثام على الكثير من الخبايا التي تكتنف هذا الحقل المعرفي.

**الكلمات المفتاحية**: سوسيولوجيا الشباب، المجتمع المغربي، الأجيال ، منظومة القيم.

## For the sociology of Moroccan youth.

**Abstract:** This research paper aims to provide a scientific contribution on the sociology of youth, which is one of the important field of sociology, by deconstructing and reading the multiple dimensions that make up it, with a sociological vision that allows us to contribute to enriching and expanding the angle of understanding about the youth group, especially in Moroccan society, and this By addressing the elements represented in the characteristics of this category and its representations in society, with a note to highlight the contributions of those interested and theorists working in this field and their contributions in unveiling many of the mysteries that surround this field of knowledge.

**Keywords**: sociology of youth, Moroccan society, generations, value system.

**المقدمة**

تضاعف الاهتمام بقضايا الشباب في المجتمعات الإنسانية المعاصرة، لما بات يشهده عالم اليوم من تغيرات واسعة النطاق شملت كل مظاهر الحياة من حيث عمقها، واتجاهاتها، ونتائجها؛ فهو يعيش على إيقاع تحولات عميقة وجذرية مست جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية، وإن كان ذلك لا يعني أنه لم يكن ثمة اهتمام بالشباب قديماً، بل لقد حظي الدور الذي يقوم به الشباب في المجتمع منذ القدم بعناية فائقة غير أن الشيء الملاحظ هو ما أصبح يتميز به الشباب من موقف حاسم يتسم بالتأثير في كافة نظم المجتمع المعاصر حديثة وتقليده وإن بدرجات متفاوتة، بحيث أصبح الانشغال بقضايا الشباب يعبر عن الاهتمام بمستقبل المجتمع الإنساني ككل، وتحقيق آفاق التنمية في كافة مجالات وقطاعات المجتمع.

تعد الدراسات السوسيولوجية المعاصرة بالأساس دراسات دينامية ومتعددة الاختصاصات، تدرس المجتمع في حركته وتفاعلاته الداخلية والخارجية. وإذا كان الشباب يعد موضوع اهتمام سوسيولوجي، فمعنى ذلك أنه من الضروري تبني مدخل إبستيمولوجي ملائم؛ مدخل علمي ينهض على الدراسة الموضوعية والتحليل الدقيق لمختلف القضايا التي ترتبط بهذا الموضوع، الذي احتل حيزا هاما في الفكر الانساني قديمه وحديثه، وفي كثير من فروعه واختصاصاته. بيد أن البناء النظري لمفهوم الشباب يشكل تحديا في حذ ذاته؛ إذ لم تستفد سوسيولوجيا الشباب من تراكم كاف، لتظل في غالب الأحيان اختصاصا "متنازعا عنه أو تيمة جانبية" ( Teles, N. 1999, p45)، يتم التطرق إليها كلما تعلق الأمر ببعض المواضيع المرتبطة بالمؤسسات الكبرى كالتربية والأسرة وغيرهما.

أيا كان موضوع الاشتغال السوسيولوجي، لا يمكن حيازته وتملكه بشكل كفيل بتفادي كل لبس أو غموض إلا باعتماد نوع من المغامرة الاستكشافية والجهد المنهجي الرصين، لذلك يشير اميل دوركايم "Émile Durkheim" في كتابه تقسيم العمل الاجتماعي أنه ليس هناك من إمكانية لتأسيس علم ما خارج الجرأة، ولكن بواسطة المنهج ( Durkheim, É. 2013). ذلك أن الانفتاح الجريء والمستمر على مختلف التضاريس المجتمعية يسهم في إنتاج معرفة رهينة، ويضمن إقامة فهم مختلف للواقع الاجتماعي.

إن الجرأة المنهجية شرط وجودي لإنتاج سوسيولوجيا نوعية تهدف إلى تحليل وفهم الظواهر الاجتماعية، وهي التي تدعو إلى تشييد سوسيولوجيا الشباب كفرع تخصصي يمكن أن يسعف في تقديم إجابات محتملة عن أسئلة وقضايا الشباب كفئة عمريه اجتماعية تحتل مكانة بارزة في النسيج المجتمعي؛ سواء بالنظر إلى حضورها الكمي أو اتصالا بإشكالياتها المفتوحة على عوائق الإدماج والثقافة والعوائق المفترضة مع باقي مؤسسات وفئات المجتمع. لكن ما هي الرهانات الكبرى لسوسيولوجيا الشباب؟ ماهي أسئلتها المركزية؟ ما هي آليات ومطامح اشتغالها؟ فضلا عن عوائقها الإبستيمولوجية وإمكانيتها المنهجية وحدودها المعرفية؟

**أولا - الشباب كلمة... لكن كم من تعريف؟**

تتعدد الصور التي تكونت حول الشباب عبر التاريخ، وتتباين محدداتها وظروفها الاجتماعية والثقافية، ما يضفي عليها طابعا إشكاليا إبستيمولوجيا متميزا يواجه جل الباحثين المهتمين بالدراسات الشبابية المعاصرة. هذا الطابع الإشكالي الذي يلقي بظلاله على كل من بحث أو يبحث في مسألة الأجرأة العلمية لمفهوم «**الشباب**»، والتي باتت تطرح عدة إشكالات نظرية ومنهجية غاية في التعقيد. مما ساهم في خلق نوع من التضارب في الرأي بين أغلب الدراسات النظرية منها والإمبريقية التي تناولت موضوع الشباب، والتي لم تعط معنى موحدا لهذه الفئة المجتمعية.

في خضم هذا الجدل الابستيمولوجي، يتبلور المفهوم متخذا أبعادا ودلالات متعددة بالنظر إلى ارتباطه بتحديدات أو لنقل بپراديغمات* مختلفة، أنتجت عدة تعريفات، تتأطر كل واحدة منها بالسياقات والتصورات والمنطلقات الفكرية التي أنتجتها من جهة، وتعقد الوقائع الاجتماعية التي تفرز اختلافا في التمثلات الاجتماعية حول ماهيته من جهة أخرى. وهو ما دفع بـ "أوليفييه غالون" إلى التأكيد على أن الصور التي تعطيها حقبة زمنية معينة لشبابها ماهي، إذن، سوى انعكاس للواقع الاجتماعي(Olivier Galland, 1991, p 57). فما الشباب؟ أو من هو الشباب؟ أهو مجرد كلمة كما ذهب إلى ذلك بيير بورديو؟ أم أنه يؤشر على فئة عمريه اجتماعية لها من الخصائص ما يجعلها متميزة عن باقي فئات المجتمع، محققة جانبا من الاختلاف نوعا ودرجة؟

### 1. الشباب، غموض كلمة

يمكن اعتبار «الشباب مجرد كلمة» بتعبير "بورديو" (Bourdieu)، كما يمكن نفي وجودها أصلا (Collectif, 1986, p 7). لقد كثر استعمالها في مجالات اهتمام متنوعة، فوجدت في الدراسات والأعمال الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتربوية؛ كما ذاع صيتها في مجالات الخطاب السياسي ووسائل الإعلام الجماهيرية. ومع ذلك، فنحن لا نقف لها على مفهوم محدد، إذ اكتسبت من وراء تعدد الاستخدامات أوضاعا أفضت، في أوقات كثيرة، إلى لبس في المعنى وغموض في المقصد. يفضي البحث في الدلالة اللغوية للكلمة إلى القول بأن جذرها (شبب) ويعني الفتاء والحداثة، والجمع "شباب" و"شبيبة" ومرادفاتها كثيرة منها: "اليافع" و"المراهق" و"الصبي" و"الفتى" و"الغلام"، وهي مرادفات لا تعكس مراحل عمرية متعددة ومفصلة بقدر ما تشير إلى خصائص جسدية وأخلاقية ونفسية ووجدانية لفترة من فترات الحياة، منها القوة والنشاط، والجمال، والذكاء، والشهامة.

***- حول مفهوم الباراديغم (Paradigme) وكيفية تشكله في مجال العلم الحديث يمكن الرجوع إلى كتاب: طوماس كوهن، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، عدد 168، ص 83، والذي يترجمه بالنموذج الإرشادي، وهو شبيه بمفهوم النموذج المثالي عند ماكس فيبر ( Max Weber)، وبشكل عام فمفهوم الباراديغم الذي يستعمل بمعنى الخطاطة أو النموذج هو "مجموع المعتقدات والتصورات والقيم التي تكون نموذجا مفاهيميا تنتج عنه كل خطابات شخص معين أو اتجاه ما باعتبار هذا النموذج نسقا تفسيريا، وبصيغة أخرى كل النظريات المعتمدة كنموذج لدى الباحثين العلميين في عصر بذاته، علاوة على اطرق البحث المميزة لتحديد وحل المشكلات العلمية وأساليب فهم الوقائع التجريبية.**

تتراوح الدلالات بين السلب والايجاب إلى حد التناقض، فكلمة «المراهق» ومنها «المراهقة» تعني الرجل المتهم في دينه، و«الرهقة» المرأة الفاجرة (ابن منظور، 1994، ص 1242-1241). أما كلمة «صباء» ومنها «صبي» فتدل على الخروج عن دين القبيلة، ويقال «تصبّى المرأة» أي خدعها وفتنها (نفس المرجع السابق، ص 404-409). وتحمل كلمة «فتى» بالمقابل معنى الاكتمال: «ليس الفتى بمعنى الشاب الحدث إنما بمعنى الكامل والجزل من الرجال»، ومعنى الجد والامتناع عن اللعب «إذا فتيت الجارية منعت من اللعب مع الصبيان والعدو معهم وخدرت وسترت في البيت». ومعنى «الفتيا» القوة والبيان: تبين المشكل من الأحكام. فكأنه يقوي ما أشكل بيانه ويصير فتيا قويا وأصله من الفتى وهو الحديث السن.

وفي هذا الصدد، تُطرح العديد من التساؤلات الإشكالية من قبيل: ما مدلول مفهوم الشباب وحدوده؟ وهل يمكن اعتباره مرحلة عمرية أم فئة ديموغرافية أم نفسية أو مكون ثقافي واجتماعي؟ متى يبتدئ الشباب ومتى ينتهي؟ وما هي قيمه المرجعية؟ هل الشباب موجود بالفعل كواقع اجتماعي؟ هل هو طباع وطريقة في التفكير والسلوك؟ وهل يجعل اللبس الذي يعتري المفهوم من الحديث عن الشباب موضوعا لا طائل منه أو نقاشا عقيما؟ (Gauthier, M. 1999) هل من المشروع التفكير في الشباب كفئة سوسيولوجية، أي كجماعة اجتماعية لها تمثلاتها ومواقفها الخاصة، والتي يعد السن محددا لها؟ أليس من المشروع التساؤل حول ما إذا كان مجديا معالجة الشباب انطلاقا من اعتباره مرحلة انتقالية، تفصل عن سن الرشد، أو أن الأمر يتعلق بفئة اجتماعية يمكن وصفها بالتجانس وانتاجها لثقافتها الخاصة؟ أي بعبارة أخرى، هل يمكن النظر للشباب من خلال منظور السن أو من خلال بنائه الثقافي والاجتماعي؟ ثم أليس من المجدي النظر للمفهوم في انفصال تام عن نموذج أو تحديد مسبق، أو إسناده إلى مرجعية بعينها مقابل ربطه بالسياق المجتمعي الواحد والسيرورة التاريخية لكل سياق ثقافي؟

## 2. الشباب بين الاستخدام البيولوجي والمنظور السوسيو- ثقافي

من المعلوم أن هناك أكثر من اتجاه فيما يتعلق بتحديد مرحلة الشباب، ولعل ذلك ما دفع بـ "مادلين كوتين" إلى القول:" الشباب كلمة واحدة لكن ذات تعاريف متعددة" ( Gauthier, M. 1999, p 9). وإذا أردنا حصر هذه التعددية في اتجاهين، فإننا نجد الأول، يميل إلى الاعتماد على البعد الزمني الذي يختزل كلمة شباب في فئة عمرية أو في فترة انتقال، أو في طور طبيعي بين الطفولة والكهولة. أما الثاني، فيتجنب الارتهان للاعتبارات البيولوجية وتطور حياة الإنسان وفقا لاعتبارات مادية طبيعية، لتصبح دراسة الشباب أكثر تعقيدا عند اعتبار هذه الفئة معطى اجتماعيا وثقافيا، وتجاوز فكرة اختزالها في مجرد شريحة عمرية أو متغيرة رقمية.

يستنتج من الانتقال باللفظ من مجال التداول اللغوي إلى مجال الاستخدام في حقل العلوم الاجتماعية، حضور الصعوبة أيضا في إعطاء تحديد معين للمفهوم، كما أكد ذلك «بيان برشلونة» المنبثق عن «المؤتمر العالمي حول الشباب»، حين بين أن كل التعريفات المقترحة تفضي إلى تأويلات مختلفة ومتغيرة باستمرار.

إن السؤال المطروح إذن هو: ماهي العتبات التي تشير إلى بداية الشباب وتلك التي تشير إلى نهايته؟ وقد يبدو هذا السؤال بسيطا، كما وتبدو الاجابة عنه بديهية، ولكن اختلاف الإجابات يجعل

كل محاولة تحديد عملا غير مضمون نظريا وتطبيقيا، ولا يعدو أن يكون مجرد اقتراح إجرائي يختلف حسب طبيعة البحث ومجال التخصص. ثم هل من الشرعي التفكير في الشباب كفئة اجتماعية بمعنى التشكيلة الاجتماعية التي لها، (إلى جانب محددات أخرى) نوع من الوحدة في التمثلات والمواقف المرتبطة بالسن؟

كثيرة هي الأصوات التي تحصر زمن الشباب بين 14 و18 سنة، إذ تميل أغلب المجتمعات الغربية والأمريكية إلى إطلاق كلمة الشباب على مرحلة العمر المحددة نسبيا ما بين 15 و21 سنة، ونجد من يعتبرها، ضمن نفس التوجه، مرحلة نمو بيولوجي وعضلي وعصبي تتحدد في سن العشرين. أي تميز فئة الشباب على أنها فئة عمرية تبدأ من لحظة عمرية محددة، أي من سن بعينه، فيوصل الشباب أحيانا بالطفولة المتأخرة، مستدمجا بذلك المراهقة، وينطلق أحيانا أخرى من نهاية هذه الأخيرة، ليستمر إلى حدود سن الرشد. وهي الفترة التي يكتمل فيها النمو الجسمي والعقلي وتبدو خلالها علامات النضج النفسي والبيولوجي واضحة على نحو يجعل المرء قادرا على أداء وظائفه المختلفة. غير أن هذا المفهوم يستخدم إطارا بيولوجيا في الغالب يعتمد أساسا على فكرة النضج الجسمي والعقلي. ومعنى ذلك، إعطاء الأهمية للمقاييس العمرية التي تختلف حسب الإشكاليات والمناهج، ومهما كانت إجرائية إلا أنها تفرغ مفهوم الشباب من محتواه وأبعاده الاجتماعية. فالرهان هنا يكمن في توضيح حدود هذه الفئة وموقعها الاجتماعي (.20 – 19 p , Szpakowsk, Janna Karla,1988 ).

في نفس السياق يأتي "فليب أريي"( Ariés, Phillippe, 1960, pp 486–488) مستخلصا أن تعريف الأعمار لا يزال بعد غير واضح، لعدم وجود حدود صريحة ومضبوطة بين سن وآخر، وهو ما أقره "بيير بورديو" في مقالته الشهيرة الموسومة بـ **"الشباب مجرد كلمة"**، مشيرا إلى أن هناك اتجاها عاما في علم الاجتماع يعتبر "الحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية حدود اعتباطية. فنحن لا نعرف أين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة مثلما لا يمكننا أن نقدّر أين ينتهي الفقر ليبدأ الثراء"(Bourdieu, pierre, 1984, p 143). هكذا، فإن تناول الشباب كمرحلة في سيرة ذاتية للفرد يقتضي وضع حدود لبداية هذه السيرة ونهايتها على خط الزمن. لكن وفق أية مقاييس تبنى هذه الحدود؟ علما أن محاولة القيام بتحديد مرحلة الشباب في سياق بيوغرافي يفترض وجود قطيعة بين مراحل العمر وحدودا بينها. وما العمل عندما تختلط هذه الحدود بوجود حالات وسطية بين حالات معلومة كالدخول إلى المدرسة والخروج منها والزواج وتكوين العائلة والانخراط في مؤسسة العمل وغيرها؟

ارتبطت بداية وجهة النظر هذه بالنصف الثاني من القرن العشرين، التي سيُكرس خلالها التصور الأساسي المتعلق بتجديد معنى الشباب والتأكيد على الظروف الاجتماعية المفارقة التي يتكون من خلالها الانتقال، وذلك بالتركيز على الباراديغم السوسيولوجي: «أصبح الشباب سيرورة تنشئة». وهو ما سيفسح المجال لبعض الأدبيات السوسيولوجية التي تنظر إلى مفهوم الشباب كظاهرة مبنية اجتماعيا وثقافيا، ما يبرر التفكير في الشباب كفئة سوسيولوجية، أي كجماعة اجتماعية لها تمثلاتها ومواقفها الخاصة، وهنا تحديدا ستظهر بالضرورة، مجموعة من التمثلات الاجتماعية التي على ضوئها يتم البناء الاجتماعي للمسارات (Bourqia, R. et Autres, 2000) .

لم يستطيع علماء الاجتماع المعاصرين الحسم في تحديد معنى موحد ودال لمفهوم الشباب، وتقدير حمولته المحددة لماهيته الحقيقية بشكل دقيق. وهو ما جعل أوليفييه غالان (Olivier Galland)، يشير، بدوره، إلى الصعوبات التي يطرحها استخدام مفهوم الشباب، فهو في نظره أكثر غموضا وتلاعبا، وإن صح التعبير فهو ذو طابع زئبقي يجعل من مهمة الامساك به أمرا مضنيا وبعيد المنال. ويقترح تعويض مفهوم الشباب بمفهوم «الانتقال إلى سن الرشد» أو «الدخول في الحياة»، وهو الوقت نفسه الذي تحصل فيه «تغييرات في وضعه: بداية الحياة المهنية، الزواج، بداية تأسيس الأسرة النواة» (Olivier, Galland, 1984, p 49 – 65). في إحالة إلى فكرة مفادها أن الشباب هو زمن اجتماعي، وليس نفسي أو بيولوجي، له خاصية انتقالية.

في هذا السياق يرى "موريس دوبيس" (Debesse)، أنه كثيرا ما يتم الخلط بين مصطلح الشباب (Jeunesse) والمراهقة (Adolescence)، في حين أنهما لا يحملان نفس المعنى. فالمراهقة ذات مدلول عام وتعني مجموع التحولات الجسدية والسيكولوجية التي تحدث بين الطفولة وسن الكهولة، وعندما نتحدث عن الحلم فإننا نقصد الجانب العضوي للمراهقة وخاصة ظهور وبداية الوظائف الجنسية. أما الشباب فيعني الجانب الاجتماعي للمراهقة ويتجلى في الجيل الذي وصل إلى اكتمال النضج، أي امتلاك كل القدرات التي تؤهله لإزاحة الجيل الذي سبقه وذلك بما يتمتع به من حيوية وحماس (Debesse, 1988, p 22).

بناء على ما تمت الاشارة إليه آنفا، يجدر التعرض لمسألة أثر العولمة في تغير مفهوم الشباب، وتواري مفهوم الجيل؛ ففي سياق العولمة، تستوقف المرء ظاهرة خطيرة تتمثل في تعطل سن الشباب وامتدادها زمنيا إلى فترة أطول مما كان عليه من قبل منذ حوالي ثلاثة عقود، ما يستلزم إعادة تعريف مفهوم الشباب ذاته، بالنظر إلى تأخر مرحلة النضج، وامتداد الفترة الانتقالية زمنيا، وهي إشكالية تواجه شباب العالم بأسره، وليست مقتصرة على شباب العالم الثالث أو الوطن العربي وحده (Louis Drin, 1999, pp 19-23) ، حيث يجابه الشباب معوقات جمة على الصعد الثلاثة: الدراسية (التخرج في مراحل التعليم)، والوظيفية (الدخول إلى سوق العمل والاندماج في الحياة العملية)، والأسرية (تكوين أسرة مستقلة).

في مقابل ما قيل، يلاحظ "غالان"، أن الشباب، بالمعنى السوسيولوجي للفظ، من حيث هو زمن انتقالي أصبح يعرف «**تمددا**». هنا تتداخل الوضعيات الاجتماعية في إطار تمطط دورة الحياة الذي يعود إلى ارتفاع أمد الحياة وطول وتعميم فترة التعليم التي أضحت محطة توقف مطولة (Chamberdon, J. C , 1985, p 16) ، وذلك في ارتباط وثيق بالصعوبة التي تواجهها الفئات الشبابية اليوم فيما يتعلق بتحقيق الاندماج في سوق الشغل عبر العمل القار، حيث يتميز المرور من نظام التكوين إلى نظام العمل بالبطء وطول مدة الاستكشاف والانتظار والتردد وما ينتج عن ذلك من تأخر سن الزواج والاستقرار العائلي وتأجيل للإثبات الاجتماعي.

هكذا صارت الفئات الشبابية تواجه تحولات عالم العمل، الذي أصبح مرنا على نحو أدى إلى بروز ما يسمى بالعمل الهش الذي يُفضي إلى نوع من الهشاشة النفسية والعلائقية؛ تعيش في خضمه الفئات الشبابية، مثلما يشير إلى ذلك "روبير كاستيل" (Robert Castel, 1994, p 20 ) باعتبارها علاقة سلبية ومضاعفة بالشغل، ترتبط من ناحية أولى، بالعمل وذلك حين تحول

عملية التتابع بين فترات البطالة وفترات العمل الهش غير المستقر دون بناء مسار مهني ثابت، ومن ناحية ثانية بالموجهات السوسيو-علائقية حيث تغدو الجماعاتية في خضم البطالة، مجرد علاقات آفلة و«قتل للوقت» تترافق مع استفزازات صغيرة وانحرافات صغيرة تريد التعبير عن زمنية بدون مستقبل. من هنا يمكن القول بأن فترة الشباب لم تتوقف عن التمدد بسبب البنى الاقتصادية والاجتماعية التي تترك أفرادا ناضجين بيولوجيا في وضع اجتماعي تابع (Lemoine Claude, 1990, p 62 ).

إن هذه الفئة حسب "غالان" (Galland Olivier) لم تحقق وجودا اجتماعيا متميزا إلا في اللحظة التي توسع فيها زمن المرور، والذي يحدد وضعا اجتماعيا غير مضمون؛ ففي المجتمع التقليدي لم يكن يميز إلا بين الطفولة والرشد، أما المراهقة فلم تكن إلا لحظة انتقال قصيرة بين اللحظتين السابقتين، ومتمركزة حول طقوس المرور. بكل اختصار، فالشباب حسب "أوليفييه غالون"، كفئة لم يكن موجودا دائما، بل إنه خلق اجتماعي يتموقع تاريخيا داخل سيرورة تطور المجتمع ذاته ( Olivier Claude, 1990, pp 5-6) ، لذا من الأجدر بنا أن نعرفه كمرحلة تحول لا تمس فقط البيولوجي والنفسي، بل تعد أيضا مرحلة تحول على مستوى السيرورة الاجتماعية ككل(.Firdion, J-M. 2000, p 79). في هذا السياق نجد «غياب الترابط بين رزنامات الدخول إلى الحياة واختلاف في التكوين التاريخي والاجتماعي لسلسلة الخاصيات التي تميز مراحل العمر والتي تتغير وتتنوع حسب المجتمعات وحسب الانتماء داخل المجتمع الواحد» (Chamberdon, J. C 1985, p 20).

كان نعت بورديو للشباب بقولته الشهيرة " الشباب مجرد كلمة" (Bourdieu, 1993, pp 143-154) محاولة وضع المفهوم داخل إطار" صراع تصنيفات"، من منطلق أن الشباب ليس له معنى إلا بوضعه داخل سياقه الاجتماعي، فالسن لا يعدو أن يكون مجرد شكل اجتماعي، يميز من خلاله المجتمع بين مختلف الفئات العمرية، وبالتالي يمثل شكلا من الأشكال الرمزية التي يعبر بها الأكبر والأصغر سنا على السواء، عن قدرتهم على التفوق والتميز حاضرا أو مستقبلا.

يكمن القصد من وراء ذلك في تنبيه كل باحث في هذا المجال إلى صعوبات تحديد المفهوم والاضطرابات الملازمة له؛ إذ إن لفظة الشباب ليس لها معنى في حد ذاتها، ولا تكتسب معناها إلا من خلال إعادة بنائها سوسيولوجيا، وذلك لاعتبار السن معطى بيولوجيا متحكما فيه اجتماعيا (Ibid., p 144) ، الأمر الذي يجعل مرحلة الشباب فئة اجتماعية ذات حدود غير ثابتة ( El Ayadi, M., Rachik H et Tozy, M. 2007, p 101) ، يتم تجاوزها بمجرد تخطي طقس مرور معين كالحصول على عمل أو الانتقال من الأسرة المنجبة أو بإنجاب الابن الأول (...)؛ محطات من الصعب وضعها داخل مخطط زمني نمطي ونموذجي، يخضع لنفس المعايير ويتناسب مع جميع الشباب باختلاف انتماءاتهم الاجتماعية والثقافية.

في هذا الإطار، يتميز بورديو (Hamel, Jacques 1999, pp 29-30) بتشديده على أن ملامح الشباب تتحدد تبعا للمواقع الاجتماعية ومقتضياتها، التي تشكل الخيط الناظم لنظريته السوسيولوجية حول الهابيتوس(Bourdieu, Pierre 1972) ، وبعبارة أخرى، فإن هذه الملامح تتشكل وفق اختلاف أنواع الرأسمال المدرسي والثقافي والاقتصادي والعلائقي التي يتمتع بها

مالكوها. إن رأس المال موضوع الرهان (الاجتماعي) هو الذي ينظم، بل ويحدد وضعيتهم كشباب.

من وجهة النظر هاته، لا يمكن أن يوجد شباب (مجرد) مادامت هذه الوضعية نتاج متغير ومبني بقوة كنتيجة لهذه الأنواع من رأس المال والرهانات التي تثيرها. إن التراكم الذي يعرفه هذا الرأس مال باختلافه وتعدده، هو الذي من شأنه رسم معالم الشباب وتحديده كمفهوم اجتماعي وثقافي.

**«إن رد الفعل المهني لعالم الاجتماع هو أن يذكر أن التقسيمات العمرية هو أمر اعتباطي. إنها تناقض باريتو (Pareto) القائل إننا لا نعرف في أي سن تبدأ الشيخوخة، كما لا نعرف أيضا في أي سن يبدأ الثراء. إن الحد الفاصل بين الشباب والشيخوخة في كل المجتمعات هو في حقيقة الأمر رهان الصراع [...]حينما أقول شباب/ كبار السن، آخذ العلاقة في شكلها الأكثر فراغا. فنحن دائما كبار السن أو شباب بالنسبة لشخص ما. لذلك فإن التقطيع إذا كان ضمن فئات عمرية أو ضمن أجيال، يبقى متباينا جدا ورهين مناورات [...]. ما أريد أن أذكر به بكل بساطة هو أن حالة الشباب وحالة الكهولة ليستا معطيات لكنهما أسستا اجتماعيا من خلال الصراع الجيلي بين الشباب وكبار السن. إن العلاقات بين العمر الاجتماعي والعمر البيولوجي معقدة جدا. إذا قارنا الشباب من مختلف الشرائح المنتمية للطبقة المهيمنة، على سبيل المثال، كل التلاميذ الذين يلجون معهد التكوين العالي، والمدرسة الوطنية للإدارة، وما إلى ذلك. سنلاحظ لا محالة، في السنة نفسها، أن «هؤلاء الشباب» يملكون على حد سواء صفات الشخص الراشد والطاعن في السن والنبيل وعلية القوم وما إلى ذلك، وأنهم أقرب إلى قطب السلطة.»** (Bourdieu, Pierre1978, p 520-530).

**ثانيا- هل مجتمع الشباب متجانس؟**

يصعب تأكيد تجانس «مجتمع الشباب» كوحدة لها نفس التركيبة والصفات والمصائر والمصالح، وتقتضي دراسته الانتباه إلى التنوع والاختلاف الذي يسم هذا العالم. في هذا السياق يقول بورديو:

**«إنه نوع من اللغو ذلك الذي يجعلنا نحشر داخل نفس المصطلح عوالم اجتماعية مختلفة تماما. وأن الحديث، سوسيولوجيا، عن الشباب كمعطى اجتماعي غير متجانس ومتغير حسب المجتمعات، يندرج في سياق عام يعتبر السن معطى بيولوجيا يمكن التصرف فيه اجتماعيا»** (Balandier, Georges 1985, p 85).

إن مفهوم الشباب لم يكن موجودا دائما، ولم يعن بصفة دائمة نفس الشيء، فهو تبعا لهذا المنظور خلق اجتماعي وفئة يجب بناؤها داخل سيرورة تطور المجتمع. لذا كانت محاولة "أوليفييه غالون" اقتراح قراءة سوسيولوجية جديدة لمفهوم الشباب، وبالتالي إعادة البناء الابستيمولوجي للمصطلح، فرصة للوقوف على تفاصيل وضعية ومكانة الشباب، الأوربي عموما والفرنسي على وجه التحديد، من خلال تلخيصه للمراحل المهمة لتطور مختلف التمثلات حول الشباب، بدء من العصور الوسطى إلى الزمن المعاصر:

في العصر القديم أو المرحلة القروسطية، كان الشباب فئة مسحوقة اجتماعيا وسياسيا، ما يجعلها أقرب إلى كنف الآباء المحتكرين لكل شيء. وفي نفس الوقت كان لفئة الشباب هامش من الحرية

التي تسمح لها بخرق محدود للقواعد والمعايير والنظم الأخلاقية (الجنس والعنف والألعاب....) وكان ينظر للشباب كعلاقة انتساب، أي بالوجود الدائم للشاب في حالة انتظار للإرث، وهذا ما سيرسم أو سيحدد طبيعة التمثلات حول الشباب؛ الشباب سن رشد مؤجل؛ ما يعني أن بلوغ الشاب مرحلة الرشد رهين بوفاة الأب (Olivier, Galland, 1991, pp 9-17) . بيد أنه ومع عصر الأنوار، وتحديدا القرن الثامن عشر، سوف تتراجع قيم الأرستقراطية، فاسحة المجال للاعتراف بفئة الشباب وتمايزها عن مختلف الفئات العمرية بما فيها الشيخوخة. وهو ما سيخلق تحولا من علاقة الانتساب المشار إليها إلى علاقة محكومة بالتربوي؛ أي أن الشاب هو الذي يتعلم ليكون وليس ذاك الذي ينتظر أن يكون افتراضيا. بمعنى أنه قوة وطاقة وحيوية وفاعل قادر على الانجاز والفعل (Ibid., pp 21-25).

خلال القرن التاسع عشر، سوف يتكون تصور جديد حول الشباب، أو لنقل الشباب من خلال صراع الأجيال. إلا أن القرن العشرين سيكون بداية تمثل للشباب (كسيرورة وليس فئة)، بسبب تـأثير السيكولوجيا كعلم ناشئ؛ حيث أصبح ينظر للشباب كسيرورة نضج سيكولوجي وانتقال عسير ومرحلة أزمة موسومة بالتوترات والغرائز الجنسية، أضف إلى ذلك أن الشاب أصبح بمثابة البؤرة حيث ستوجد الايديولوجيات والقنطرة التي ستعبر بواسطتها عن نفسها ( Ibid., p 34). ومع النصف الثاني من القرن العشرين، سيكرس التصور المتعلق بتجديد معنى الشباب ومنه سيتبلور مفهوم "الانتقال"، الذي من خلاله نتحدث عن الشباب كسيرورة تنشئوية. هذا الانتقال الذي سيجعل من الشباب باراديغما سوسيولوجيا بامتياز، ومنه تكون سوسيولوجيا الشباب المعاصرة هي المسؤولة عن دراسة الظروف الملازمة "لولوج حياة الكبار" والتي ميزها بثلاث مميزات وهي بداية الحياة المهنية والانتقال من بيت الآباء ثم الزواج. يتبادر إلى الذهن من خلال هذا التقسيم سؤال مهم مفاده: هل يتقاسم الشباب العربي نفس المراحل مع نظيره الغربي، أم أن تاريخ تطور التمثلات حول الشباب العربي لها ما يميزها من خصوصيات؟ في ظل غياب دراسة تناولت بالدراسة والتمحيص حيثيات الإجابة عن السؤال، فإننا نشير من باب الافتراض أن من شأن اختلاف الظروف والخصوصيات الثقافية والايديولوجية داخل المجتمعات العربية عبر التاريخ مقارنة بالأوربية، أن يكون له أثر واضح على تشكل التمثلات والنظرة إلى الشباب داخل المجتمعات العربية، لكن دون أن يعني ذلك إمكانية وجود بعض التقاطعات بينهما، بل وإمكانية إسقاط بعض التمثلات التي كانت سائدة في مرحلة من المراحل داخل المجتمعات الأوربية على المجتمع العربي اليوم.

**ثالثا- من أجل سوسيولوجيا تحويلية لمجتمع دينامي**

أضحى الاجتماعي اليوم أكثر تعقدا وغموضا ومقاومة بالنظر إلى ما يثيره من أسئلة، وما يعصف به من ظواهر وحالات، ما يتطلب استنفار الآليات السوسيولوجية طلبا للفهم والتجاوز. والحال أن هذا الوضع الجديد يُشرع في الحقيقة طرح السؤال البديهي التالي: **أيّ مهمّة للسّوسيولوجي عامة، وللمهتم بقضايا الشباب والثقافة خاصة، في العالم العربي وليس فقط المغرب؟**

إننا بحاجة ماسة لسوسيولوجيا تقارب قضايا الشباب بعيدا عن حجاب الموضوعية المتخشِّبة المفقودة، والحياد المزعوم على حساب تهميش الفاعلية الممكنة للشبيبة العربية عامة، والشباب المغربي بخاصة كفاعل تاريخي. يجب أن تؤسس دراسات سوسيولوجية عربية عصرية تكون بالأساس دراسات ديناميكية لا توجبها فقط محدودية الاشتغال السوسيولوجي على المسألة الشبابية وإنما تحددها تفاعلات المشهد المجتمعي عموما، والتي لا يمكن مجاراتها ومقارنتها إلا بالإنصات لصوت السوسيولوجيا. الأكثر اقترابا من المعيش اليومي للشاب ومختلف قضايا المجتمع المرتبطة به. كل ذلك يعكس الحاجة إلى معرفة تواكب إفرازات الاجتماعي وتنشد الفهم والتجاوز.

لا يتعلق الأمر هنا بالمهمة العلمية لعلم الاجتماع، بقدر ما يتعلق بالمهمة الدينامية للسوسيولوجيا فمهمة السوسيولوجي هي النضال من أجل التغيير ضد النظم والمؤسسات التي تمارس الضغوطات والإكراهات على الذوات الإنسانية، أي أن الأمر يتعلق والحالة هذه بالسوسيولوجي الثائر والمثقف أكثر مما يتعلق بالسوسيولوجي العالِم. الذي يسعى نحو المُساهمة في تجويد الحياة البشرية وتفعيلها نحو ديمقراطية مباشرة أكثر فأكثر، حيث يكون للذات مشروع سوسيو ـ ثقافي تتشارك فيه مع باقي الذوات الفاعلة والمتمثل بالدرجة الأولى في الحرية. إن السوسيولوجيا ليست علماً اجتماعياً وضعانياً متخشباً، وإنما هي فعالية تاريخية أيضاً، بما هي ورؤية حداثية للعَالَم.

إن الحاجة إلى هذا النمط من السوسيولوجيا كمعرفة ورهان أثبتت جدواها العلمية في ساحة العلوم الإنسانية تتأكد وتتكرس واقعا بفعل ما يعتمل في رحاب المجتمع وما يشار بصدده من أسئلة خانقة الطابع وما تثيره القضايا الشبابية من إشكالات يصير الحسم فيها متطلبا لمواصلة الاجتهاد السوسيولوجي في أفق استكمال التأسيس العلمي لسوسيولوجيا الشباب، خصوصا وأن المسألة الشبابية خصوصا في بعدها العلائقي مازالت بعيدة عن الاحتواء والفهم الموضوعي فهناك من جهة أخرى ندرة الدراسات التي تصدر لها.

ثمة ملاحظة أخرى لا يمكن القفز عليها بخصوص التأمل في مجمل الأعمال العلمية حول الشباب في البلاد العربية والمغرب، وتتمثل في إمكانية تصنيفها إلى صنفين:

الأول، وصفي استطلاعي: يتضمن الأعمال التي تعتمد على محاولات الاستطلاع والملاحظة بهدف الوصف، وإن كان ضروريا إلا أنه، في أغلب الأحيان، لم يدرج في إطار إشكالي ونظري واضح المعالم يطرح الأسئلة ويعمل على التحقق من الفرضيات. لذا تلامس هذه الأبحاث قضايا الشباب كما تبدو في ظاهرها. ولا تتوفر على منهج رصين، ويدخل ضمنها تلك الأعمال التي تنجز في أطر رسمية وتلبية لحاجات الادارة. وقد تحمل تصورا واقعيا بما يعنيه من قيامها على أدبيات مرجعية لا يرقى إليها الشك، بل تأخذ غالبا كيقينيات.

الثاني، نظري عام: يشمل الأعمال التي تطرح قضايا الشباب انطلاقا من مقاربتها لقضايا المجتمع بصورة عامة، وفي إطار نظري عام يتناول الإشكاليات والتساؤلات ويجيب عنها دون التحقق منها ميدانيا. وقد تسقط هذه الأعمال في التعميم المتسرع أو تظل محلقة فوق أرض الواقع الاجتماعي، مرددة لمفاهيم وخطب أنتجها الغرب خصوصا، فتفقدها صبغتها العلمية لتنخرط في

مجال الخطاب الايديولوجي والعفوي الذي لا يراجع قناعاته والمسبقات التي تفرخ في الوضع الاجتماعي العام. غير أنه من الضحالة الفكرية، نكران وجود مساهمات جادة أرادت التخلص من الطابع الأوربي-المركزي لمفهوم الشباب وسعت إلى تأصيل مفاهيم جديدة نابعة من الواقع الاجتماعي الخاص. وعموما نرى أن هذه الانتاجات بالرغم من التفاوت المسجل حول عمقها ومجال اهتمامها فقد تحكمت فيها أهداف وخلفيات يمكن تبويبها كالتالي:

- الاشتغال بهدف إدماج الشباب وفق معايير وقيم وقوانين سائدة والعمل على تحقيق نوع من التطبيع الاجتماعي عبر تكييفهم مع الأوضاع القائمة، على اعتبار أن الشباب كضامن لاستمرار المجتمع عليه الانخراط في النظام الاجتماعي القائم، وبالتالي فإن هذا الاشتغال يرى ضمان استمرار المجتمع متمثلا في إعادة انتاج النظام الاجتماعي القائم.

- اعتبار الشباب مشكلة اجتماعية، ومن ثم فإن الاشتغال يرتكز على كون الشباب وسيلة لتحقيق الأهداف والمشاريع والبرامج التي تقوم بإعدادها الدولة ومختلف المؤسسات الاجتماعية، وفي هذا السياق تأتي نظرية الموارد البشرية. وهكذا فإن خروج الشباب عن الأدوار والأهداف المحددة سلفا ينظر إليه كفشل في السياسات التنموية وحالة من الأنوميا الاجتماعية Anomie (Sociale).

وهناك من كان ينظر إلى الفرص المقدمة للشباب على أنها تتحكم فيها القوى الاجتماعية السائدة سياسيا وثقافيا، وبالتالي فإن الشباب كقوة اجتماعية حيوية يمكن أن يكون محركا للتغيير (محمد جسوس، 2004، ص 161-173). إن هذه الحقائق العفوية أو إن جاز تسميتها سوسيولوجيا عفوية، تسعى إلى الابتعاد عن المشاعر وردود الفعل العصبية التي تثيرها الحياة الاجتماعية، مع تجنب الفهم العميق والتحليل الرصين للمعطيات مما يسهل عليها، مع الأسف، بجانبها الموجز والرؤيوي والاختزالي المعهود والمتسرع، أن تسترعي اهتمام وسائل الاعلام التي أقامت نفسها طوعا ناطقة رسمية باسمها.

لعل كل هذا الكلام الذي يذكي محدودية الدرس والتحليل السوسيولوجي لسؤال الشباب، هو ما يؤكد الحاجة إلى سوسيولوجيا ديناميكية تنفتح بمزيد من الجرأة والفعالية على مختلف الانشغالات والانتظارات الأساسية التي تهم الشباب في سياقات سوسيوسياسة محددة. وبحكم موقع الشباب الرمزي والمادي في جميع المجتمعات وإمكانات الفعل التغييري لديه فإنه سوسيولوجيا سيسمح لا محالة بإبراز هذا الموقع ضدا في كل استراتيجيات التهميش والتبخيس التي تستهدفه بطريقة واعية أولا واعية.

**رابعا- سوسيولوجيا الشباب كحاجة معرفية**

يمثل مفهوم الشباب عند بورديو في هذا السياق تعسفا لغويا عجيبا، يمكننا أن ندرج شموليا تحت اسم المفهوم عوالم اجتماعية لا تمت عمليا لبعضها بصلة. ويبقى شرح معنى كلمة "شباب" نابعا من ضرورة ملحة، خصوصا أن موضوع اهتمام هذه الورقة هو شباب المغرب. **فهل ثمة مبرر لكل هذا الانشغال المعرفي بالظاهرة الشبابية؟ ماذا يعني أن تكون شابا في مغرب الألفية الثالثة؟**

يمتاز المجتمع المغربي بفتوة العنصر البشري وهذه الحقيقة تم إثباتها في جميع عمليات الإحصاء العام للسكان التي عرفها المغرب منذ استقلال إلى الآن، حيث تأكد في الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 أن عدد السكان المغاربة في سن العمل (59-15 سنة) قد ارتفعت نسبتهم من 60,7 % من مجموع السكان سنة 2004 إلى 62,4 %سنة 2014، وذلك بفعل الزخم السكاني الناتج عن معدلات الخصوبة المرتفعة التي سجلت خلال السنوات الماضية. في المقابل، فإن الأشخاص البالغين من العمر ستين سنة أو أكثر يمثلون حاليا 9,6% من مجموع السكان، مقابل 8,1% سنة 2004.

يوضح الرجوع إلى تاريخ تمثل الفئات العمرية، داخل المجتمع المغربي، كيف أن اللغة الدارجة بشقيها العربية والأمازيغية وحتى الحسانية، تكون مجحفة وغير منصفة؛ من حيث إنها لا تتضمن وجود ألفاظ دقيقة لتمييز مرحلة المراهقة أو الشباب، بل نجد تقابلات بين كلمتي صغير/ كبير- امترافن وعزري/ رجل، عازب كما شرحت ذلك "رحمة بورقية"، مؤكدة أن خلو العامية من هذين المصطلحين (شاب/ مراهق)، يرجع بالأساس لكون المجتمع التقليدي المغربي في السابق، ونظرا لطبيعة بنيته الاجتماعية وأيضا الاقتصادية البسيطتين، لم تتشكل بهما فئة ذات كيان متفرد ولها اعتبار ضمن التشكيلة الاجتماعية العامة؛ فالطفل كان يعهد إليه ببعض الأعمال الخدماتية أو المهنية في وقت مبكر جدا، في حدود سن سبع و عشر سنوات، ومن تم يدخل مرحلة تحمل المسؤوليات العائلية، فيصبح ضمن فئة الكبار «راجل» «أرْگاز» «أَرَگاجْ». ومن ثم فإن ألفاظ من قبيل (شاب/ مراهق)، والتي توجد في قواميس اللغة العربية الكلاسيكية لم تبدأ في التغلغل داخل اللغة المتداولة إلا حديثا ( Bourqia, Rahma, 1995, pp 10-11). وما يستدعي الانتباه أيضا، هو أن الثقافة الفرنسية بدورها لم تكن تتداول هذين المصطلحين (شاب/ مراهق)، إلا بعد صعود البورجوازية كما أشار إلى ذلك "فيليب أرييس" (Ariès Philippe)، وكذا مع انتشار التعليم والتدريس، بحيث أصبح الفرد الشاب يملك معنى مميزا عن بقية المراحل.

**خامسا- الشباب في مواجهة الشيوخ: الفجوة بين الأجيال**

ترتبط مسألة الطابع المتغير للخاصيات الاجتماعية التي تسند على أساس السن، ببناء المجتمع وخصوصياته فتجعل من الرشد كمحدد اجتماعي مجالا للصراع بين الشرائح العمرية وذلك في اتجاهين:

الأول نحو الأسفل، ويتضمن ما يمكن تسميته «باستراتيجيات وضع في حالة لا مسؤولية»، وتتمثل في عملية تأجيل بلوغ الرشد الكلي وإبقاء جزء من المجتمع في حالة غير راشدة أي حالة شباب، وهي استراتيجيات تشبيب يعتمدها الكهول والراشدون والناضجون حتى يظلوا مالكين للحكمة والرصانة، ويظل الشباب خارج تلك الدائرة، أي في حالة تبعية وقصور، وتحت الوصايا.

أما الثاني، فهو اتجاه نحو الأعلى، ويتضمن «استراتيجيات إسقاط» يعتمدها الشباب، وتهدف إلى محاولة نزع الاعتراف ممن هم أكبر سنا وإزاحتهم بالحط من رتبهم وإخراجهم من دائرة الحياة الاجتماعية والحلول محلهم ( Chamberdon, J. C 1985, p 21-20). هنا يتبادر إلى الذهن سؤال مركزي يهم دراستنا وهو: هل موقع شباب الصحراء المعاصر ينطبق عليه مضمون الاتجاه الأول أم الثاني؟ أم أنه يخطو الخطو بين الاتجاهين، إذا ما سلمنا جدلا أن سلطة الكبار لا

زالت حاضرة وإن بشكل رمزي وعاطفي رغم وجود مظاهر استراتيجيات الاسقاط التي لا تتعدى أن تكون مظاهر سطحية غير فعالة، بل إنها تبقي الوضع على ما هو عليه؛ فالجيل الجديد لم يمنح الاستقلالية الشخصية التي تساعده على مساءلة عميقة للتجربة المشوشة بسبب الأسس الاعتقادية والتقاليد والعادات الدينية التي تقيد أفكارهم وأفعالهم وتراقبها؟

**رسم توضيحي: ملامح الصراع المستند على أساس السن**

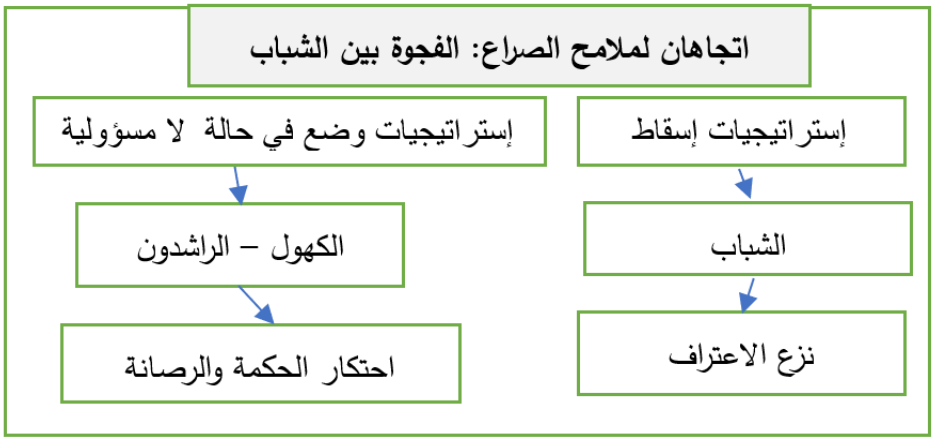


عندما نضع الشباب في مقابل الكبار/الأجيال، فإننا في الحقيقة نضعهم في مقابل القيم والمؤسسات التي كانت سائدة والتي لا شك أنها ساهمت بشكل، أو بآخر في بناء ذهنياتهم وسلوكهم وعواطفهم وتشييد مواقفهم وأحكامهم وتمثلاتهم واتجاهاتهم. ونفس الشيء يقال عن علاقة الشباب المعاصر في تفاعله مع مؤسسات عصره.

تدفع مسألة التمييز بين الفئات العمرية لفهم طبيعة الصراع الذي ميز تاريخ الانسانية نحو تملك النفوذ والسلطة داخل المجتمع. إن العلاقات بين السن الاجتماعي والسن البيولوجي جد معقدة، ذلك أن السن هو معطى بيولوجي مستغل وقابل للاستغلال اجتماعيا: إن فعل الحديث عن الشباب كوحدة اجتماعية ومجموعة لها مصالح مشتركة، وكذا إرجاع مصالحها إلى سن معرف بيولوجيا، يشكل، أولا وقبل كل شيء، نوعا من الاستغلال البديهي، الواضح والجلي (Bourdieu, 1984, pp 143-144). ويضيف بورديو، موضحا:

**«ليس محض مصادفة أن تكون العنصرية ضد الشباب (الواضحة جدا للعيان في الإحصائيات، مع أننا لا نملك، مع الأسف، تحليلات لكل شريحة من الطبقات الاجتماعية) واضحة للعيان في الطبقات التي فقدت مكانتها (مثل الحرفيين الصغار أو التجار الصغار)، أو لدى أشخاص فقدوا مكانتهم ولدى كبار السن عموما، ليس كل كبار السن ضد الشباب بالطبع، لكن الشيخوخة هي أيضا أفول اجتماعي وفقدان السلطة الاجتماعية ومن خلال هذا فإن علاقة كبار السن بالشباب هي إحدى سمات الطبقات الاجتماعية الآفلة أيضا. بالطبع، إن كبار السن في الطبقات الاجتماعية الآفلة، أي التجار الصغار، الكبار في السن، والحرفيين الشيوخ وما إلى ذلك يجمعون كل الأعراض في أعلى درجاتها: فهم ضد الشباب لكن أيضا ضد الفنانين وضد**

**المثقفين وضد الاحتجاج وضد كل ما يتغير وكل ما يتحرك[...] لأن مستقبلهم خلفوه وراءهم، ولأنهم لا يملكون مستقبلا، بينما الشباب يتمثلون بالمستقبل ويمثلون المستقبل»** ( Bourdieu, 1984, p 151).

كما يشير أيضا إلى أن:

**«من مصلحة كبار السن أن يبقوا الشباب شبابا، ومن مصلحة الشباب أن يردوا كبار السن إلى فترة الشيخوخة. ثمة فترات زمنية يتكثف فيها البحث عن الجديد الذي من خلاله يدفع «القادمون الجدد» (الذين هم في أغلب الأحيان، الأكثر شبابا بيولوجيا) بـ «الذين سبق أن وصلوا» إلى الماضي وإلى المهجور وإلى الموت الاجتماعي («لقد انتهى أمره»)، وحيث تصل الصراعات بين الأجيال، في الوقت نفسه، إلى أعلى درجة من الكثافة: إنها الأوقات التي تتقاطع فيها مسارات الأكثر شبابا مع مسارات الأكثر كبرا في السن، وحيث يطمح «الشباب» (مبكرا جدا) في الميراث. يمكن تجنب هذه النزاعات طالما تمكن كبار السن من التحكم في إيقاع صعود الأكثر شبابا، والتحكم في الوظائف والمسيرة الدراسية وفي ضبط سرعة السباق في ميدان الوظائف، وفي كبح فرامل أولئك الذين لا يعرفون كبح فراملهم، الطموحين الذين «يقفزون المراحل» ويتزاحمون في الواقع هم، قد استبطنوا الحدود والأعمار المشروطة، أي العمر الذي يمكن أن «يسعى فيه المرء عقلانيا» إلى منصب، ولا يخطر حتى على بالهم أن يطالبوا به قبل الأوان أي قبل أن «تدق ساعتهم». عندما يُفقد الحس بالحدود تظهر نزعات بشأن حدود العمر والحدود بين الأعمار ويكون رهانها نقل السلطة والامتيازات بين الأجيال»** ( Ibid., 1984 pp 153-154).

نجد الشباب مع "فرانسوا ديبي" موضوعا لا متناهيا ومتكرر للنمطية المعششة في التمثلات الاجتماعية والمخيال الجماعي (Dubet, François 2004, p 276) ، والتي تتأرجح بين التقاليد والتجديد الجذري. حينما نتناول الموضوع من المنظور القيمي، فغالبا ما يتم النظر إلى الشباب على أنه غير مكترث وغير مسؤول ومنحط ومستخف واستهلاكي ومولوع بالموضة، ويصبح خطرا إذا تعاملنا معه بمنطق الحيطة والحذر. في المقابل، يلاحظ "ديبي" أن: «كل هذه العيوب يمكن النظر إليها كقيم إذا ما اعتبرنا الاستقلالية الذاتية هي القيمة الأساسية للتربية العصرية.» (Ibid., 2004, p 276) ، بهذا سنحصل بنوع من المفارقة، على شباب من جهة «عصري وذهبي وكثير الاستهلاك» ومن جهة أخرى «على شباب متحرر من ثقل الماضي وأصيل ودائما سباق إلى تجديد العالم بإطلاقه لحركات سياسية واجتماعية في القرن العشرين». بين هذا وذاك، ينظر إلى الشباب كضحية مجتمع ظالم متحرر يكون فيه الجيل البالغ قادرا على حماية مكتسباته لكنه عاجز عن إيجاد مكان للشباب معه.

في نفس السياق، وعندما نسلط الضوء على الواقع المغربي، يذكرنا "حسن رشيق" بخصوص الأطلس الكبير، أن إبقاء الابن في مرحلة "الأفروخ" مادام الأب حيا، هو نوع من الهدر والاقصاء لطاقة الفئة الشابة من الخيرات الاجتماعية والسياسية للجماعة، ويتمظهر هذا الاقصاء الممنهج للشاب في أبسط المظاهر الاجتماعية، فهو يحصل على نصيب أقل من "الوزيعة" حتى في حال تمتعه باستقلال مادي وسكني أثناء توزيع الأضحيات المقدسة، عكس «الأرگاز»، الذي

يتمتع بحصة أكبر. وأحيانا يتجاوز التمييز ما هو طقوسي رمزي ليطال السياسي أو ما يخص تسيير شؤون الجماعة، إذ لا يستطيع الأفروخ حضور اجتماعات مجلس القرية ولا يتكلف بأي مهمة جماعية؛ فضيوف القرية يعهد بهم لرئيس العائلة الذي يمثل "الجماعة"؛ «إن توزيع الأضحية هي لحظة التمييز بين الرجل «أرگاز» الذي يهيمن على الحياة الاجتماعية والسياسية داخل القرية، ويسير الأمور العمومية، وبين «الأفروخ» الذي يعد قاصرا ومبعدا عن كل ما هو جماعي.» (Rachik, Hassan, 1991, pp 18-20 ).

إن ما يميز الشباب أو بالأحرى وضع الانتقال، في المجتمعات التقليدية والبدوية هو وجودهم في وضع متدني، مبعد عن كل سلطة، اجتماعية كانت أم سياسية. الأمر الذي تحتكره الفئات الراشدة أو الكهول داخل الجماعة، فتحدد طقوس العبور وتضع أحيانا العراقيل قبل الانتقال.

وبالنسبة لـ "مصطفى حجازي"، فإن الهدف من وراء الهيمنة، أو الهدر، الذي تمارسه النخبة المهيمنة، تجعل من الكفاءات الشابة طاقة فائضة لا لزوم لها سوى خدمة حمى التنافسية في سوق العمل الدولية (مصطفى حجازي، 2005، ص 202).

**«يشكل حرمان الشباب من المشاركة في قضايا صناعة المصير واحدا من أبرز أركان هدرهم الوجودي. فيسلب من الشباب حقه في امتلاك الدور في قضايا الوطن سواء من خلال «التطفيل»، (البقاء في مواقع الطفولة غير المسؤولة)، أو من خلال الإلهاء بمختلف ألوان التسلية والإثارة، كي تكال له من تم التهم بالميوعة وعدم الجدية، وقلة تحمل المسؤولية. يترك هدر كيان الشباب العام هؤلاء في الفراغ الوجودي وحياة اللامعنى نتيجة لهذا التهميش عن القضايا العامة [...] وهو ما يضعه في وضعية التعرض لخطر انفجارات العنف العشوائية، أو الوقوع في إغراءات الحركات الأصولية، التي تزين له امتلاء الوجود الذاتي بقضايا تُسبغ عليها طابعا كونيا متساميا»** (المرجع السابق، ص 202).

تدفع بنا التحليلات السابقة إلى طرح العديد من الأسئلة، أولها؛ ما حدود استمرار هذا الوضع؟ هل ظل الشباب دائما خاضعا، يعيد إنتاج الوضع القائم؟ هل بقي محافظا على نفس القيم والمستوى الثقافي، بحيث يدافع ويحمي المعايير والقيم السائدة، أم أنه وجد نفسه يتجاوزها وينتقدها ويحدث قطيعة معها؟ ألم يتأثر الشباب كفئة واعية بذاتها، بمختلف التحولات السريعة والمتلاحقة، نظرا لعدة عوامل، همت بشكل أساس القيم؟ وبمعنى أعمق: ألم تساهم ظروف التحول التي يشهدها عالم اليوم في جعل الشباب المعاصر يعيد صياغة معاييره وقيمه الخاصة به، أو على الأقل وضع قيم ومعايير الجماعة ومؤسساتها موضع سؤال؟ ما حدود مساهمة الشباب في حصول التحولات العميقة على عدة أصعدة وفي مقدمتها الثقافية، على الصعيد العالمي والوطني وفي مختلف الأوساط؛ الحضري والبدوي؟

أملا في استجماع خلاصات هذه المقاربات المفاهيمية للشباب وسعيا وراء بناء تصورات نظرية حول الأسئلة المطروحة، يمكن القول بأن الشباب يبقى مجرد ظاهرة اجتماعية محددة سلفا بشروط إنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي في مجتمع معين، واعتبارا لكونها ظاهرة أو معطى اجتماعيا فهي تشير إلى مرحلة عمريه تأتي بعد مرحلة الطفولة، وتلوح خلالها علامات النضج البيولوجي والنفسي والاجتماعي. وجدير بالذكر بأن كل تعريف اجتماعي للشباب يظل مرتبطا

بشروط إنتاجه الاجتماعية فكل عقل جمعي ينتج شبابه ويحدد احتمالات الارتقاء الاجتماعي إلى هذه الفئة أو السقوط منها بحيث يبقى لدرجة التعقيد المجتمعي دور حاسم في تحديد الارتقاء أو السقوط.

**سادسا- دور الشباب في الفعل والتحول: هل الشباب فاعل؟**

على الرغم من أن بعض الدراسات-وقد ذكرنا بعضها-تبرز وجود نوع من الهيمنة التي تفرضها الفئات الأكبر سنا على الفئات الشابة، إلا أن هذا لا ينفي حقيقة مؤداها أن الفئات المسنة قد فقدت في العصور الحديثة المواقع التي كانت تحتلها قديما فلم تعد تحتكر قيم الحكمة والنفوذ. فإلى أي حد يمكن اعتبار الشباب فئة أساسية التغيير مالكة لثقافة جديدة قادرة على كسر شوكة الهيمنة؟

**1. الشباب، قوة أساسية في التغيير**

لا ينفي هذا التأثير المجتمعي على الفرد/ الشاب (المعاصر) قدرته على الحضور بشكل متنام على أكثر من صعيد (اجتماعي، ثقافي، اقتصادي وسياسي وغيرها)، وهو حضور ذو بعدين سياسي وثقافي، يتلازمان طورا ويتعاقبان طورا آخر: فالحركة الرومانسية، مثلا، هي كما يلاحظ "إدغار موران"، حركة تعبر عن خيبة أمل شبابية أعقبت انهيار العالم القديم وبشرت بتطلعات الإنسان الجديد. كما أن المجتمعات الصناعية المتقدمة شهدت تحولا مستمرا على مستوى العادات والأعراف السياسية والثقافية نتيجة لعملية تحول القيم بين الأجيال. هذا الانتقال من المادية إلى ما بعد المادية بما يعنيه من تحول الأولويات في القيم أدى إلى ظهور موضوعات جديدة فرضت نفسها على الساحة السياسية (Ronald Inglehart, 1990, p 66).

وإذا سُمح لنا أن ننعت هاته المجتمعات المصنعة بالتعقيد على مستوى التحول الذي مس بنيتها الصناعية والثقافية والاجتماعية والقيمية وحتى السياسية، فإن ذلك سيسمح بظهور ثقافات فرعية شبابية، وهي كما يعتقد كلارك (Clarke) في كتابه «المقاومة عبر الطقوس»، ثقافة فئوية عادة ما يقوم من خلالها الشباب بمحاولات جادة لكي يكسبوا الحرية ويحتفظوا بمساحة معينة إزاء الثقافة المسيطرة. وهؤلاء الشباب يحصلون على مساحة ثقافية ضمن المؤسسات والمناطق المجاورة، ويتمتعون بوقت حقيقي للتسلية ولهم حيز لا بأس به في زوايا الشوارع (هارلمبس وهولبورن، 2010، ص 37).

ساهم هذا التحول في إعادة صناعة وضع جديد للشباب، الذي أصبح قوة احتجاجية تحمل ثقافة مضادة صاحبته أشكال جديدة في السلوك والتفكير والمعتقد ورافقته في نفس الوقت تعبيرات ثقافية فنية متميزة، فلعبت الاتجاهات الطلائعية في الفن دورا هاما في تغذية الحركات الشبابية، فالسريالية وفن الجاز الحر كانا مرجعين لحركة ماي 1968 في فرنسا مثلا Gaudier, Pierre (1977, p 129). بناء على هذا، فإن النظرة إلى الشباب كقوة أساسية مساهمة في التغيير، تجد جدورها التأصيلية عند "أوغست كونت" (August comte) الذي يرى أن الامتداد الزائد للحياة يتولد عنه إبطاء لنسق التطور ويصاحبه تعاظم للدور المحافظ لجيل كبار السن الذين يتشبثون بمكتسباتهم ويعارضون كل تغيير. وبالمقابل، تكون القوة الخلاقة للشباب هي التي تعجل بالتطور.

ومن جهته يقر "كارل مانهايم" (Karl Mannheim) في سياق حديثه عن المحددات الأساسية لظاهرة الجيل، أن الظهور المستمر لفاعلين ثقافيين جدد واختفاء الفاعلين الثقافيين القدامى ينتج

عنه تغيير ما هو موجود؛ فتعاقب الأجيال يعني إن الانتاج الثقافي بتراكمه لا يتم بواسطة نفس الأفراد، لأن هنالك دائما فئات عمرية جديدة تظهر في المجتمع. وهذا يعني أن التطور الثقافي ينجز عبر أفراد لهم مقاربة جديدة للثقافة المتراكمة، أي لهم مجموعة من المواقف والإضافات والمساهمات التي تهدف إلى تغيير ما هو موجود. فمع «تجدد الناس تختفي مكتسبات تراكمت وتتاح انتقاءات جديدة لازمة، وإعادة نظر فيما هو موجود. وبالتالي نتعلم نسيان ما لم يعد مستعملا وتحصل لنا رغبة فيما هو غير مكتسب بعد. إن الاختفاء المستمر للفاعلين الثقافيين السابقين والأجيال السابقة يضمن استمرارية المجتمع» (Mannheim, Karl ,1990, p 49). هكذا سيحسم اختفاء الفاعلين القدامى وظهور الفاعلين الثقافيين الجدد عملية التشبيب الاجتماعي للمجتمع، أي الانطلاق من جديد من خلال طاقة حيوية جديدة لبناء مصير جديد مبني على تجارب جديدة. وبناء عليه يؤكد "مانهايم" على مسألة مهمة وهي أن التناقل المستمر للإرث الثقافي خاصية أساسية في العلاقة بين الأجيال.

هكذا إذن، يبدو الشباب في نهاية المطاف كفئة مرتبطة بالتجديد والتغيير والخلق والابداع، ولعل ذلك ما ناقشته العلوم الاجتماعية الغربية في إطار قضايا الأجيال وأمعنت النظر فيه، وانتبهت إلى أن ثقافة الشباب هي المحفز والمعبر عن التغيير الثقافي والتحديث (Morin, Edgar l 1991). وبهذا المعنى فإن ما نراه في الواقع العربي لا يمثل صراعا روتينيا بين الأجيال، بقدر ما يمثل تحديات حقيقية تطرحها أجيال لم يستجب المجتمع لحقها في دفعه نحو التغيير انطلاقا من تجربتها ووعيها والأحداث التاريخية التي ساهمت في صياغة هذا وذاك (أحمد عبد الله، 1994).

لقد أدركت المجتمعات الصناعية هذا الدور الثقافي-السياسي الجديد للشباب فسعت إلى احتوائه عبر تكوين حركات تأطير شبابية منظمة، وعملت على استيعاب الأشكال والتعبيرات الثقافية الاحتجاجية التي أفرزتها الحركات الشبابية التلقائية وحولتها إلى سلع معروضة للاستهلاك الواسع وموضة تستهوي قطاعات كبيرة من الشباب وذلك في سعي إلى تحييد وتمييع المضامين الرافضة للسائد.

### 2. الشباب: ثقافة جديدة لكسر شوكة الاحتواء

إذا كنا قد تبينا مع كل من "مانهايم" و"موران" أن الشباب كأجيال جديدة لها مقاربة جديدة للثقافة المتراكمة قادرون على خلق التحول الثقافي، فمعنى ذلك أن الشباب يمكن أن يكون رائدا للتغير الثقافي سواء بالنسبة للدول المتقدمة أو السائرة في طريق التقدم. ثمة أمثلة عديدة تكشف عن التحول المستمر للمجتمعات على المستوى الاجتماعي والثقافي، حيث تراجع نمط حياة الجماعة بأشكالها السياسية والثقافية والقيمية. وقد كان لشباب الظل دور مهم في هدم النسق الاجتماعي مبرزا للوجود أنماط جديدة لممارسة المقاومة.

منذ الخمسينيات من القرن الماضي، أكد "تالكوت بارسونز" (Talcot Parsons) أهمية ما يسمى بالثقافات الفرعية كظاهرة اجتماعية، من ناحية، وكمرحلة في التنشئة الاجتماعية، من ناحية أخرى. فهي تحدث بين الشاب وعائلته وبما يمارسه عليه الوسط المدرسي من ضغوطات. وتتشكل هذه الثقافات في إطار مجموعات الأقران، وتتجسم في نمط حياة جماعي يتسم بنوع من

الهامشية إزاء المجتمع. وهي توفر فضاء تعويضيا، بما أنها تمثل رد فعل على ضغوطات المجتمعات الصناعية (Guy, Rocher, 1972, p 156 ).

وتقوم "نظرية الثقافة الفرعية الشبابية" عموما على اعتبارها ثقافة «تتبلور وتتمحور كحل جمعي أو كحل متجدد للمشكلات الناجمة عن الطموحات المحبطة لقطاعات كبيرة من الأفراد، كالشباب في حديثنا هنا، أو لوضعهم الاجتماعي الملتبس في المجتمع الكبير. وهكذا تكون الثقافات الفرعية كيانات متميزة عن الثقافة الأكبر (الأم) ولكنها تستعير رموزها وقيمها ومعتقداتها وكثيرا ما تعرضها للتشويه أو المبالغة أو تقلبها رأسا على عقب.

حاولت بعض الدراسات السوسيولوجية في فرنسا تحليل المنطق الداخلي لتشكل جماعات الشباب وثقافتها بالربط بينها وبين محدداتها الاجتماعية، وإرجاع ظهورها إلى فشل عمليات التطبيع الاجتماعي العصري في إدماج الشباب، فظل يبحث عن طرق أخرى للدخول إلى الحياة. هذه الجماعات تتكون من أفراد ينتمون إلى مختلف الطبقات الاجتماعية يمارسون العنف لمواجهة المجتمع وتجمع بينهم ميولات ثقافية خاصة بهم كموسيقى «الروك» وتعبيرات ثقافية مختلفة كالوشم واستعمال لغة خاصة وارتداء لباس مميز(...) «إن الثقافة الفرعية لهذه المجموعات الشابة هي في الأساس علامة قطيعة مع المجتمع وليست جسر عبور إليه» ( Monod, 1968, p 16-28).

إن استخدام الشباب لأنماط ثقافية خاصة، هو سعي إلى تطوير وصياغة مجموعة المعايير التي تمنحهم قوة لاكتساب المهارات والخبرات والتجارب الاجتماعية، التي يتعذر اكتسابها من خلال المعايير الثقافية العامة التي ينقلها إليهم جيل الآباء والكبار من أعضاء المجتمع عموما... هم على هذا النحو يؤكدون ذاتهم ويثبتون للأجيال الأخرى استقلالهم وقدرتهم على الاعتماد على إمكاناتهم الخاصة.

يطرح "عبد القادر أزداد" في صدد حديثه عن ثقافة التغيير لدى الشباب العربي سؤالا مهما مفاده: هل ثقافة التغيير نابعة من تطور الوعي الشبابي أم هي مفروضة عليه بفعل أنظمة منغلقة لا تتيح هوامش أكبر للتطور، واستيعاب انشغالاته ،وطموحاته، وآماله؟ (عبد القادر أزداد، 2015، ص 142) ويذكر أن ثقافة التغيير ليست بغريبة على الأوساط الشبابية المثقفة في العالم العربي. فهي استمرارية لثقافة الرفض للمعايير والقيم والسلطة وكل الأوامر والتوجهات التي يصدرها الكبار، لتتطور بعد ذلك إلى مواقف مختلفة ملازمة للظواهر الشبابية. غير أن تبلورها في شكل تمثلات مبنينة، داخل الذاكرة الجماعية لفئات الشباب، يجعلها تتحول إلى اتجاهات ايديولوجية لها خلفيات فكرية واضحة، تتغذى من الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعرفها كل مجتمع على حدة.

شكل المناخ العام المحلي، القائم داخل أغلب الأقطار العربية أرضية خصبة لنمو ثقافة الرفض، بين الشباب بالرغم من الواقع المُزري الذي تذكيه مجموعة من العيوب والهفوات التي تمارسها مؤسسات التنشئة الاجتماعية على الشباب العربي. بدء بالأسرة في مرحلة الطفولة مرورا بالمدرسة، وصولا إلى الجامعة (نفس المرجع، ص 142).

تتجاذب الوعي الشبابي في الوطن العربي مجموعة من التيارات الفكرية والسياسية؛ التي نمت في ظل الظروف السائدة، وتتوزع هذه التيارات، بين تبني عدة أطروحات كالأصولية واليسارية والقومية وهناك المتشبثة بالنموذج الغربي المفقود. بالإضافة إلى تيار آخر لا يمكن إغفاله، وهو التيار العدمي السلبي. كما أن بعض الأنظمة المنغلقة تتضمن في حياتها، بسبب أنها كانت تعتقد ولمدة طويلة، أنه بفرض أسلوب القمع والضغط والتفقير الاقتصادي لمختلف الفئات الاجتماعية وتطويع المعارضات السياسية والفكرية بالقمع والسجون، وبفضل ولائها التام للغرب الذي تنكر لها عند أول منعطف، ستستمر إلى ما لا نهاية. بيد أن تبلور ثقافة التغيير لدى الشباب العربي من خلال بعض النماذج التاريخية، وتطور الوعي الشبابي الناتج عن الإقصاء والتهميش داخل هذه الأنظمة المنغلقة، والتفاعل بين عنصري الوعي لدى الشباب العربي، وإفرازات هذا الواقع المتردي، عجلت بسقوط أنظمة قوية صارت تتناثر كأوراق الخريف. وجعلت أنظمة أخرى تستبق الأمر وتتبنى إصلاحات مهمة قبل فوات الأوان ( نفس المرجع، ص 144).

يمكن أن نتبصر من خلال هذه الملاحظات، أن الشباب من أهم عوامل التغير الاجتماعي، فالتاريخ يبرز كيف أن الشباب كان القائد الأول لعملية ومسيرة التحول في العديد من دول العالم. بالإضافة إلى ذلك، يلاحَظ أن الشباب فئة واعية بوجودها وبظروفها وبتاريخها وبما يجري في محيطها. بمعنى آخر، أنه ليس الفئة المحافظة على النظام القائم والعاملة على إعادة إنتاج عناصره، أو تلك التي عليها أن تنتظر لحظات معينة من زمن المجتمع، كي تقوم بوظائف ممسرحة وثورات وهمية تساهم في تقوية النظام القائم، أكثر مما تضعه موضع التساؤل والمراجعة. إنها فئة لا تنزل أيديها بسهولة، بل تتابع ما يجري حولها، تُقيّمه، وتأخذ المواقف المختلفة: مع، ضد...وبذلك، فالشباب اليوم هو فئة مساهمة في الحياة المجتمعية بشكل فعال كقوة لها مكانها ليس اجتماعيا فقط، ولكن اقتصاديا وسياسيا وثقافيا.

يلزمنا التوقف للحظة لنتساءل عن مدى صحة القول بأن الشبيبة المغربية التي لا تختلف عن مثيلاتها في باقي دول الهدر، قد استطاعت أن تجد مسافة ما بينها وبين محيطها المؤسساتي ومجتمعها وثقافتها المحلية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها؟ وإذا صح ذلك، فما هي المراحل التي قطعتها العلاقة الجديدة؛ بمعنى هل يكتفي الشباب المغربي بالنقد والرفض الصامت؟ أم أنه يتجاوز ذلك إلى حدود المواجهة المباشرة مع أنواع السلط الموجودة في محيطه الاجتماعي؟ هل يضع الثقافة السائدة موضع الاستفهام؟ هل يسير نحو القطع مع مختلف القيم التي تروجها المؤسسات، وبالتالي بناء ثقافة خاصة به ترفض ثقافة المهيكل والتقليدي والقديم؟ هل يستقيم الحديث عن تبلورت في مجتمع الشباب المغربي ثقافات أو هويات متغيرة مضادة باحثة عن المشروعية الكامنة وراء الشرعية المؤسساتية؟

تعيش شبيبة المغرب، شأنها شأن شبيبة الدول النامية، أوضاعا قاسية عنوانها المركزي الإقصاء الكبير الذي تمارسه المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، مما أدى إلى بروز التهميش وعجز آليات الادماج الاجتماعي. ولعل الدراسة التي أعدها كل من "هرفي" ( Herve Guy) و" كريست" (Kerrest Thierry) عن أطفال فاس «Les enfants de Fez» تؤكد ما قيل، حيث تصف ظروفا قاسية يعيشها الأطفال والشباب الفاسي من خلال مجموعة من المقابلات

التي أجراها الباحثان مع مجموعة من أطفال وشباب المدينة الذين تتراوح أعمارهم ما بين العشر سنوات والست عشرة سنة. في محاولة منهما كشف النقاب عن بعض من جوانب الحياة اليومية لهؤلاء المبحوثين، مركزين على الجانب السوسيو-اقتصادي لحياتهم.

يرى الباحثان، أن الأطفال ستظهر ليديهم نزعة فردانية ستتبلور معها أساليب جديدة لتحصيل الثروة من خلال ارتباطهم بسوق الشغل، خصوصا ضمن عملهم كمرشدين سياحيين، غير مرخص لهم في الغالب، ما يجعلهم في مواجهة رجال السلطة من جهة، والمرشدين السياحيين المرخص لهم من جهة ثانية. وأمام هذا الوضع غير المستقر، يلجأ هؤلاء إلى حدود هدم النسق الاجتماعي من خلال أنماط سلوكية تعكس المقاومة للموجود: بيع المخدرات للسياح، أو الدخول معهم في علاقات جنسية من أجل تحسين وضعهم المادي اليومي، وقد يعملون في شكل عصابات يتزعمها أحدهم أو في شكل ثنائيات حتى يتمكنوا من توزيع المهام بينهم. يمتد هذا الوضع ليطال أطفال خارج مدينة فاس، الذين يحلون على المدينة بقصد البحث عن العمل، كما هو حال عازفي الكمان والطبل، الذين يتجولون في المقاهي وأمام الحوانيت ومع الزوار قصد الحصول على قدر من المال، وهم في الأغلب أمازيغ نازحون من المناطق الجبيلة المجاورة لمدينة فاس.

بالإضافة إلى ذلك، يساهم بعض هؤلاء الأطفال العاملين في مصروف العائلة، ومصاريف الدراسة، والكتب، والملابس، ونقود الجيب. وقد تتيح لهم فرص العمل مع الأجانب فرصا للبحث عن سبيل للهجرة للخارج كما تم لبعضهم (Hervé, G. Et Kurrest, T. 1980).

يبدو إذن، أن ثمة ثقافة جديدة تتأسس في شوارع فاس وإن كانت لم تخرج بعد وبوضوح إلى الوجود، إذا كانت لم تع وجودها الخاص أو لم تصل بعد لحظة المرآة، بتعبير "جاك لاكان" (Jacques Lacan) ثقافة شبابية تتعدد مظاهرها بين الرغبة في الاستقلال المادي والاقتصادي وتحمل المسؤولية في قطع مع الحياة العائلية من خلال الرغبة في العيش في مجموعات خاصة وتأسيس علاقات التعاون والتكافل.

**سادسا- الشباب في مرآة البحث العلمي المغربي**

يحيل البحث العلمي في ماهيته إلى كل إنتاج مؤسسي أو شخصي يحترم الحد الأدنى من المواصفات المرتبطة بالجانب الابستيمولوجي (النقد المعرفي) أو بالتعامل مع المعطيات الكمية أو النوعية المرتبطة بمجال البحث (الشباب مثلا، بالنظر إلى قضية اهتمامنا) بالإضافة إلى عملية تشييد الموضوع وما يرتبط بها من منهجية وتقنيات جمع المعطيات الميدانية أو الوثائقية. ولعل احترام هذه الإجراءات والانضباط إلى مقتضياتها يجعلنا نخرج من دائرة الاهتمام كل الأعمال التي يمكن أن تنتج عنها ما يمكن أن ننعته بالمعرفة العفوية بالموضوع المدروس والتي لا تعمل إلا على تعميم مصادرات ومقولات تقوم على معرفة عامية أو تنبني على معطيات فضفاضة وغير دقيقة. وحسب هذا التحديد الأولي، يكون الوقوف على المساهمات الرصينة التي اهتمت بالموضوع مدخلا أساسيا لتقييم الانتاج المغربي حول المسألة الشبابية.

يكشف الاهتمام بموضوع الشباب في الأدبيات السوسيولوجية المغربية، عن مفارقة هامة مفادها؛ أن حضور الشباب بقوة كمتغيرة رقمية داخل المشهد الديموغرافي في المجتمع المغربي، لم يجعل

منه موضوعا حاضرا، بقوة، داخل الاهتمامات السوسيولوجية، مما يصح به القول بوجود هوة بين مكانة الشباب في هذه الدراسات وحضوره الديموغرافي، لذا تم نعته "بالقريب الأفقر لأبحاث العلوم الاجتماعية"( Rahma Bourqia et Autres, 2000, p 9 ). بيد أن هذا الحكم، لن يثنينا عن محاولة إجراء قراءة وتصنيف لبعض الانتاجات الفكرية حول الشباب في سياق الأدبيات السوسيولوجية المغربية في تطورها، علّنا نتمكن من الإجابة على سؤال محوري متمثل في: مدى وعي الباحثين السوسيولوجيين، وهم يغنون هذا المجال، بعملهم أنهم بصدد المساهمة في تشييد حقل كبير في السوسيولوجيا موضوعه الشباب، أم أن تلك المساهمات التي قدموها لا تعدو أن تكون مجرد أبحاث تدرس الشباب كفئة عمرية ومتغيرة رقمية في علاقتها بإشكالات معاصرة لا غير؟

لعل تحليل المفارقة التي أشرنا إليها والإجابة عن الاشكال المطروح أعلاه، لن يتأتى إلا من خلال إعادة قراءة المساهمات المعرفية حول الشباب المغربي؛ كحصيلة مسار علمي وتراكم معرفي، استنادا إلى فترات زمنية وتاريخية مختلفة - بدءا بالإرهاصات الأولى التي تعكسها مرحلة الحماية وانتهاء بالزمن الحالي-وارتباطا بمنهجيات بحث متباينة.

**1. الارهاصات الأولى للبحث العلمي حول الشباب المغربي**

إذا كانت فترة الستينيات من القرن العشرين تعد بداية التفكير في دراسة الشباب في علاقته بجملة من القضايا والإشكالات السوسيولوجية، كما سنوضح لاحقا، إلا أن الارهاصات الأولية للبحث العلمي بشكل عام قد تمأسست، سابقا، وبشكل (أكاديمي) تحت الحماية؛ فمختلف الدراسات والأبحاث حول هذا الانتاج، وإن كانت لا ترقى إلى مستوى البحث السوسيولوجي عموما؛ من حيث إنها قد جاءت في سياق بناء نظرية حول السيطرة، إلا أنها ولا شك ستفيد ما سيليها من الدراسات حول الشباب.

في هذا الإطار، يمكن الإشارة إلى أعمال "روبير مونطاني" (Robert Montagne) على الخصوص، والتي انطلقت بالبحث الميداني المهم حول «نشأة البروليتاريا بالمغرب»، حيث انبثقت عنه عدد من الدراسات والتقارير حول الشباب المغربي وعلاقته بالحركة الوطنية وخلايا المقاومة. لقد تغيّت هذه الدراسات والأبحاث بالدرجة الأولى، وضع سياسات شبابية لإضعاف شوكة الشباب وفك ارتباطه بخلايا المقاومة لما لوحظ من حيوية هذه الفئة الاجتماعية في النضال ضد المستعمر ودورها في العملين السياسي والفدائي. ذلك أن المقيم العام "ليوطي" (Lyautey) قد حرص وهو على فراش الموت مع ما يفيد التنبيه إلى أنه:

**«يوجد داخل الأسر المخزنية الكبرى شباب يتكلم الفرنسية ذكي وطموح، علينا توظيفه إذا لم نرد رؤيته منحرفا عنا وضد رغبتنا [...] عندما نعلم النخبة الاشتغال والاعتماد علينا، وعندما نضمن لها تحقيق طموحاتها المشروعة وتوفير منافذ شغل مناسبة لتاريخها ولعاداتها ولكفاءاتها سوف لن نخشى شيئا يذكر على العكس من تركها تتطور بعيدا عنا وعرضة لتأثيرات خارجية وإيحاءات ثورية»** ( Simiot, Bernard, 1955, p 18).

وهو ما عبر عنه أيضا قبل ذلك "روبير مونطاني" عندما صرح قائلا:

**«إن اللحظات الأخيرة التي قضاها "ليوطي" فوق أرض المغرب قبل صعود الباخرة التي أقلته إلى فرنسا، خصها لاختبار مؤثر للضمير حول مستقبل الشبيبة المسلمة في هذه البلاد[...] ذلك أن مستقبل كل ما عمله المغرب يتوقف على الطاقات التي قد يظهرها الجيل المسلم الجديد المتخرج من مدارسنا عند أخذ مكانه ضمن الدولة الشريفة»** Montagne, Robert, 1951, p (309).

وفي سياق آخر تحضر دراسة "برينو روطالي" (Bruno de Rotalier)، لتبين وضعية الشباب الهشة تحت الاستعمار ودوره في الصراعات الحضرية وانخراطه إلى جانب المقاومة ( Bruno de Rotalier;1951). وهو ما سيجعل انخراط الشباب في النضال ضد المستعمر سواء على واجهة النضال السياسي أو واجهة المقاومة وجيش التحرير، Trystram, Jean Paul 1963, (p 219) مؤثرا في التوتر الذي عرفته البلاد بعد نفي محمد الخامس. ولا يجب إغفال الدراسات النفسية والتربوية التي كان يتم تطويرها في إطار تكوين يد عاملة تحتاجها المقاولات الفرنسية والأجنبية العاملة بالمغرب سواء في قطاع المناجم أو الصناعة.

**2. دراسات ذات قيمة تاريخية**

بعد الاستقلال، ستظهر اهتمامات بالدور البنائي للشباب في محاولة لتشخيص وضعيته كفئة متمدرسة بالاعتماد على باراديغم التحول الاجتماعي الذي يعرفه المجتمع المغربي في تلك المرحلة ومدى مواكبته لتلك التحولات وتمثله لمشروع المجتمع المغربي المستقل. في هذا السياق، يمكن الاشارة على سبيل المثال لا الحصر إلى بحثين نموذجيين، يتعلق الأمر ببحث لـ " أندريه آدم" (André Adam, 1961) وآخر لـ "جاك سيلوس" (Selosse, Jacques, 1963) وبالرغم من أن موضوع العملين يهتم بالشباب الحضري عموما- حيث تكونت عينة "آدم" من فتيان وفتيات من الفئة العمرية (22-15 سنة)، وعينة "سيلوس" (بين 20 و 30 سنة)- من جهة دراسة المواقف والآراء على الخصوص، فإن طبيعتهما تختلف من حيث بناء الاشكالية ومنهجية البحث والتقنيات المستعملة في جمع المعطيات الميدانية؛ ولئن كان التحقيق الميداني "لأندريه آدم" قد اعتمد الاستمارة وكان ذا طبيعة اجتماعية أكثر منها سوسيولوجية، فإن دراسة "سيلوس" اعتمدت المقاربة السيكو- اجتماعية والمعطيات النوعية على عكس تحقيق "آدم" ذو التحليل الكمي. وبالرغم من تفاوتهما على مستوى الصرامة العلمية والنتائج المحصل عليها، فقد اتفقت الدراستان على المواقف المحافظة للشباب فيما يتعلق بالقضايا المرتبطة بالأسرة والمرأة وتأثيرها على النموذج المجتمعي المرغوب والمؤسس على انتقائية لا يمكن تجاوزها إلا بتنشئة اجتماعية تتأسس على دور جديد للمدرسة ولمختلف المؤسسات التنشيئية، مع توزيع للموارد قائم على عدالة اجتماعية حقيقية وتكافؤ للفرص بين مختلف الفئات الاجتماعية وخاصة تلك التي تعيش هشاشة اجتماعية تهدد بالتهميش والإقصاء (الشباب، النساء، سكان البوادي...)، بالإضافة إلى الولوج إلى الخدمات الأساسية والتمكين فيما يتعلق بممارسات الحقوق.

إن بداية بروز الشباب كحركة اجتماعية حاملة لمشروع التغيير الاجتماعي ستتطور وتتعمق خاصة مع ظهور أبحاث تهتم بالفئات الهشة عموما وضمنها الشباب على الخصوص. وفي هذا الصدد نذكر نموذج البحث الذي قام به "بول باسكون" بمعية "المكي بنطاهر" Paul, Pascon

( et M, Bentahar, 1969, pp 112-113) وبمساعدة ثلة من المحققين المغاربة؛ هذا البحث الذي أصبح من كلاسيكيات البحث العلمي بالمغرب. وقد انصب على عينة من الشباب الذكور المتراوحة أعمارهم بين اثنا عشرة وثلاثين سنة، شكلت ضمنها الفئة العمرية 24-15 سنة ما نسبته 84٪.

يلاحظ كل من "بول باسكون" و"المكي بنطاهر" في بحثهما، أن الشباب يتسم ببعض الخصائص التي تضفي عليه مسحة طبقة اجتماعية" بفعل الاستغلال المفرط الذي يتعرض له في إطار وضعيات اجتماعية تتميز باللامساواة، والتي ليست إلا تعبيرا عن الاستغلال الاقتصادي العام الذي تتعرض له البلاد من طرف الدول المتقدمة.

إن الشباب هم الذين يساهمون فعليا في الإنتاج الذي يتطلب مجهودا عضليا (الفلاحة، الصناعة التقليدية مثلا) في حين نجد الراشدين هم أصحاب القرار. كما نجد الشباب من بين الفئات الأكثر هشاشة اقتصاديا، مما يجعل سلطة الأسرة عليهم قوية، بل وتسعى إلى استدامتها. وفي مجتمع يتسم بالتقليدانية، يعتبر الشباب حاملا لقيم الحداثة وفي نفس الآن مصدرا للاختلال الاجتماعي" الذي تعمل القوى المحافظة على الالتفاف حول رفضه للموضوية. ومع ذلك ينبهنا الباحثان إلى أنه لا يمكن اعتبار الشباب طبقة اجتماعية، وذلك لأن الشباب مرحلة انتقالية في حياة الشخص، كما أن الشباب تتوزعه طبقات اجتماعية مختلفة. ومن ثم، فإن الشباب مرحلة من الحياة ندخلها بالسن ونغادرها مع الزواج.

كما سجل الباحثان أن الاحتفاظ بالفتيات في وضعية الأمية يحد من الضغط النسوي، وبالتالي يصبح الزواج ناظما للتغير. إلا أن انتماء الشباب لشرائح اجتماعية مختلفة يجعلهم فاعلون في حركية المجتمع من خلال التعارضات التي غالبا ما تهدأ بعد عودتهم إلى طبقتهم الأصلية. ويخلصان إلى أن الشباب أصبح في مغرب "ما بعد الاستعمار" محرك المجتمع؛ حيث يصرحان بأنهما لا يعتقدان بأن الشباب بما هو كذلك سيغير المجتمع الذي يعيش في كنفه بعنف، ولكن مختلف الطبقات الاجتماعية والفاعلين الاجتماعيين سيتبنون بشكل تدريجي أم لا أو ببطء أو بسرعة مطالب الشباب: تمدرس جيد وطويل، تشغيل تفضيلي لذوي الشهادات، تصنيع واستقرار في الشغل، تحديث القرى، حرية واسعة في التعبير والتجمع، حياة جنسية متحررة، الحد من الرشوة المباشرة، دمقرطة السلطة، الخ. هذه المطالب لا زالت قائمة إلى يومنا هذا بالرغم من التحسن الجزئي والمكتسبات الهشة التي تحققت. وإذا كان البحث الأخير قد انصب على الشباب كعينة أساسية فإن بحثا مهما حول النساء قد أعدته "مليكة البلغيثي" ( Belghiti, Malika,1969) والذي اهتم بدراسة العلاقات النسائية ووضعية المرأة داخل الأسرة القروية؛ حيث تشكلت العينة من 126 مستجوبة تتراوح أعمارهن ما بين خمس عشرة وخمس وأربعين سنة.

### 3. الشباب إشكالية أم مشكلة؟

مع أحداث 1965 وما تلاها من وقائع سياسية، واجتماعية، خاصة بعد إغلاق "معهد العلوم الاجتماعية"، وإصدار مذكرات تضييقية على البحث الميداني، سيظل البحث العلمي عموما نشيطا. وستحتل المسألة الشبابية وإن كإشكالية فرعية ضمن قضايا محورية كالتربية والتعليم

والتشغيل... حيزا لا بأس به في مجال الدراسة والبحث؛ غير أن الشباب لم يعد موضوع دراسة بقدر ما أصبح ميدانا لدراسة ظواهر أصبحت لصيقة بالشباب وخاصة به من قبيل الانحراف والاجرام والمخدرات والبطالة والهجرة، بل إن الشباب سيسقط ضحية تصوره كمراهقة لدرجة أن الشباب سيصبح مشكلة بعد أن كان يعتبر بشرا محركا للدينامية الاجتماعية.

ويمكن أن نسجل في هذا الباب، أن ما أصبح يتهدد الشباب كقوة اجتماعية حيوية بفعل وقع ما أصبح يعرف في الأدبيات السياسية المغربية "بسنوات الرصاص"، ستعكسه عدد من الدراسات والبحوث ما بين السبعينيات والثمانينيات على الخصوص، سواء منها الذي كان يهدف إلى تقديم خدمة اجتماعية بهدف الإدماج الاجتماعي (رشدي فكار، 1972، ص 203-235) أو تلك التي كانت تهدف إلى الكشف عن المعوقات التي تعترض الشباب في القيام بأدواره الاجتماعية، كدراسة "خالد عليوة" (Alioua, Khalid, 1984, p 213) ودراسة "عائشة بلعربي" Aicha (Belarbi, 1984). وهي في غالبيتها أعمال جاءت في سياق القضايا التي أصبحت تهم الشباب العربي أو المغاربي. وستظهر في هذه السيرورة أعمال مهمة وتخصصات تربوية حول المراهق والمنحرف كأعمال "أحمد أوزي" و"مبارك ربيع" على سبيل المثال، كما ستوظف نظريات صراع الأجيال والمواقف من المعاصرة أو الحداثة وأزمة الهوية ( Bentahar, Mekki, 1989).

### 4. الشباب والتغير الاجتماعي

مع نهاية الثمانينيات، ستطفو على الساحة دينامية المجتمع المدني بدعم من المنظمات غير الحكومية، حيث سيلعب الباحثون دورا مهما في ربط البحث العلمي بالممارسة الاجتماعية، والخوض في معالجة ظواهر جديدة أفرزها التغير الاجتماعي وفشل السياسات الحكومية، مع ما رافق ذلك من أزمة هيكلية ستفتح الباب أمام تقويم هيكلي سيتم خلاله الاشتغال على دعم التوازنات الاقتصادية الكبرى وعدم الاهتمام الجدي بالتوازنات الاجتماعية الأساسية. وفي هذا السياق، ستنشط دورة الندوات والمؤتمرات سواء الجامعي منها أو المقام بشراكة في إطار انفتاح الجامعة على محيطها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي على الخصوص. وهكذا ستبدأ وحدات بحث متخصصة في قضايا الشباب والتكوين. غير أن غياب دعم مادي ومعنوي مسترسل ومؤسسي سيجعل العديد منها تدخل في غيبوبة أو تندثر. ونذكر في هذا الباب، على سبيل المثال، الندوة التي نظمتها كلية علوم التربية حول "الشباب والمجتمع في البلدان المغاربية"*. وهنا سيبدأ الاهتمام بقضية الانتقال الديموغرافي وما تتضمنه من عملية تجدد الأجيال وعلاقتها بإعادة إنتاج النظام الاجتماعي وما ينتج عنها من توترات وأزمات مجتمعية.

كما أن إعادة النظر في مفهوم الشباب خاصة بالشكل الذي طرحه "بيير بورديو" ( Bourdieu, Pierre, 1992, pp 520- 530) ستظهر على الساحة. وفي هذا الصدد نشير إلى ما أثاره «حسن رشيق» في دراسته "الشباب ومجموعات السن بالوسط القروي" حول مسألة الشباب كفئة اجتماعية ومشاركتها في الشأن العام منطلقا في تعريفه للشباب من تحليل للتمثلات الاجتماعية للفئات العمرية انطلاقا من تجلياتها الطقوسية والعرفية في تقاطع مع ما يقدمه القانون والتشريعات الرسمية.

وفي نفس السياق، تحضر دراسة "منية بناني الشرايبي" ( Mounia Bennani-Chraïbi, 1995) ، في محاولة منها، للوقوف على مختلف التحولات التي مست الشباب المغربي المسلم، سعيا وراء استيعاب هذه التغيرات بالاستناد إلى المنظومة القيمية السائدة في المجتمع المغربي. وقد كان المشكل الذي أثار اهتمام الباحثة، هو أن المغرب، خلال نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، كان يعرف مشكل اندماج الشباب المتلهف إلى تحقيق ما أطلقت عليه " الحلم الاجتماعي"، غير أن المنجزات والوعود لم تصل إلى ما كان يتوق إليه هؤلاء الشباب.

لقد أكدت الباحثة على تأرجح الشباب المغربي بين التمرد والخضوع. وهي وضعية فرضتها الظروف التي مر بها المغرب منذ الاستقلال. وقد ركزت الدراسة التي استهدفت 37 شابا، على الفئة العمرية الحضرية ما بين 30-16 سنة من الاناث والذكور، معتمدة على مجموعة من المدن كمجالات للبحث: طنجة، وجدة، مراكش، أكادير، تطوان، الناظور، فاس، ثم الرباط وسلا. وانطلاقا من المقابلات المعمقة التي اعتمدتها الباحثة في استجوابها للشباب، خلصت إلى مجموعة من النتائج والخلاصات أهمها بداية بروز الفرد وانفصاله التدريجي عن جماعته، وبداية بناء الشباب لتمثلات جديدة حول ذواتهم وإنتاجهم لقيم وانتظارات جديدة، ترتبط برغبتهم في التغيير، إن على حساب انتهاك المحرمات الدينية والجنسية، الشيء الذي فسرته الباحثة بالتجاذب الحاصل بين النسق البراغماتي والنسق المعياري (Ibid., 1995). كما أن فشل (الانتقال السياسي) مرهون بنتائج الانتقالين الآخرين؛ (الانتقال الديموغرافي) أو من حيث الهجرة القروية إلى المدن (الانتقال الحضري) مما يعطي انطباعا بأن المغرب ليس مجتمعا مأزوما ولكنه يشبه إلى حد كبير عالما في تحول. فقد أبانت الباحثة أن دور الشباب "كحركة اجتماعية" يرهن مستقبل مجتمع بأكمله؛ ذلك أن الفردانية الفوضوية والعدمية هي الخطر الذي قد يتعرض له كل مجتمع يهيكل ويبنين انتظارات سوسيو-اقتصادية ووعود اندماجية دون أن يعمل على الوفاء بها وتحقيقها.

وفي نفس الإطار، تأتي دراسة مجموعة البحث والدراسة في السوسيولوجيا حول "الشبيبة الجامعية المغربية" (Bourqia, Rahma et autres, 1995) ، حيث تمت الاشارة من خلالها إلى أن لكل مرحلة تاريخية شبابها؛ إذ أن مفهوم الشباب مفهوم تاريخي متطور. وقد سجلت الدراسة تعاقب ثلاثة أجيال جامعية بالمغرب: الجيل الأول الذي نشأ في أحضان الحركة الوطنية، وقد شكل استمرارية لها، فجيل السبعينيات الذي أراد الرقي بالوطنية إلى بناء مجتمع المساواة لكنه فشل. الشيء الذي أثر في الجيل الثالث الذي دخل مرحلة «الترقيع الثقافي»، مع فقدان إمكانية إنتاج ثقافة فئوية مضادة.

وبعد بضع سنوات، سيقوم "عبد الجليل بناني" رفقة "براكونيي" بإصدار كتاب حول المراهقة كزمن اجتماعي ومرجع في أسلوب الحياة؛ وذلك من خلال مقاربة الشباب كقيمة سوسيو-نفسية وبيولوجية محورها المراهقة كثقافة ونمط عيش وأسلوب حياة أصبح مرجعا في ضبط إيقاع الحياة اليومية ( Bennani, J. Et Braconnier, A. 2002). فالزمن الحالي هو زمن "المراهقة" كقيمة تبادلية والتي هي رهان صراع. فزمنها بالرغم من أنه زمن واقعي، فإن مدته تتغير بتغير المجتمعات والثقافات التي تجعل منه أساسا زمنا داخليا. وخلصا إلى أن المراهقة

تتمفصل حول ثلاثة أزمنة: زمن الفتوحات والاختيارات وزمن المفارقات، ثم زمن التهديدات؛ حيث يظهر التهديد الأخطر هو تهديد الكآبة والانهيار. من هنا تبدو لنا أهمية الشباب كرأسمال بشري إلى جانب السياسات التي تستثمر فيه ليصبح فاعلا ومنتجا.

لا يفوتنا ذكر العديد من الدراسات الأخيرة التي همت السنوات الأخيرة كالـدراسة حول "الشباب الجامعي المغربي: قيم واستراتيجيات" (Bourqia, Rahma et autres, 1995) ، التي تعلقت بدراسة حول شريحة الشباب المغربي الجامعي في علاقتها بالتحولات والقيم. وكذا "البحث الوطني حول القيم" ( Rachik, Hassan, 2005) الذي استهدف تعرف التحولات القيمية التي شهدها ولا زال يشهدها المجتمع المغربي. دون أن نغفل الإشارة إلى الدراسات التي همت علاقة الشباب بالديني أو التدين كما هو الشأن بالنسبة للبحث حول "الشباب والقيم الدينية" ( Bourqia, R. et Autres, 2000) . وقد ارتكز البحث في مجمله على دراسة قيم ومواقف المستجوبين ومعتقداتهم الدينية، وكذا العلاقات الأسرية وانتظارات الشباب المتمدرس ودرجة تسامحه، بالاعتماد على تقنيتي المقابلة والاستمارة معا.

وفي نفس السياق يحضر كتاب "الإسلام المألوف" (El Ayadi et Autres, 2006) الذي يعتبر نتاج مجهود ميداني تناول بالدراسة والتحليل الممارسات والقيم الدينية في المجتمع المغربي. وقد شمل عينة تتكون من 1156 مستجوب، ينتمون إلى جميع الجهات الاقتصادية بالمغرب. وتتمحور هذه الدراسة على إشكالات مهمة من قبيل: ماهي درجة إلمام الأجيال المعاصرة بالديني؟ ما هي درجة ممارسة مختلف الأجيال للطقوس الدينية؟ كيف يتم اعتبار تدين الشباب مقارنة بتدين آبائهم؟ أما بخصوص نتائج البحثين الأخيرين فيستحسن العودة إلى الدراستين للوقوف على جزئياتها بالدقة اللازمة التي لا يسمح لنا المقام بالخوض في تمفصلاتها الغنية.

**سابعا- استنتاجات**

-يمكن القول إن سوسيولوجية الشباب نوع تخصصي بدأ يتشكل كاستجابة علمية لتطورات المسألة الشبابية نتاج ما أفرزته الشروط المجتمعية المتواترة، وهو سيساهم فعلا في توصيف الحدود العلمية للموضوع المدروس، وكذا تباين محاور الانشغال الكبرى لهذا الحقل المعرفي المتفرد، الذي تتسع رقعته المعرفية باستمرار سعيا وراء تطوير أدوات البحث، واكتشاف مفاهيم جديدة تروم فهم واع لمشاكل الشباب ضمن سياق التغير الاجتماعي والثقافي العربي والمغربي. مثلما سيقود هذا البروز إلى تحديد آليات الدرس والتحليل الكفيلة بإنتاج مقاربة واعية للقضايا الشبابية.

-وانطلاقا من التجربة الشبابية المغربية سيواجه الباحثون جملة من الأسئلة الكبرى سواء تلك المتعلقة بالدور الاجتماعي للشباب في المشهد المجتمعي، أو تلك التي تهم البحث في صعوبات الاندماج وما يتصل بهذا الأمر من ألوان التدجين والإقصاء إضافة إلى فهم وتفسير مظاهر الثقافة الشبابية استنادا إلى الشرط المجتمعي المغربي وتفاعلاته مع روح العصر وتأثيرات العولمة وغيرها من التحديات الفكرية الجديدة التي يطرحها عالم اليوم اتصالا بقضايا الشبيبة وواقعها العام.

-إن سوسيولوجيا الشباب عامة والمغربية خاصة، تؤسس مشروعيتها من خلال اشتغالها على الظواهر المرضية لدى الجيل الجديد من الشباب، والتي تُلوح بقوة في مظاهر الانحراف والتطرف والخروج عن معايير العقل الجمعي، وهنا بالضبط نصطدم بسؤال الأزمة الشبابية فيما إذا كانت ذات ملامح ذاتية متصلة بعدم فهم الذات أم هي أزمة واقع عام ينفتح به الشباب ويقوده إلى أزمة علائقية مع كافة المؤسسات المجتمعية؟

**قائمة المراجع**


1.ابن منظور (1994)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

2.أزداد عبد القادر (2015) ، «*ثقافة التغيير عند الشباب العربي*»، عدد 14، طنجيس.

3.جسوس محمد (2004) ، «إنهم يريدون خلق أجيال جديدة من الضباع...! طروحات حول الثقافة واللغة والتعليم»، منشورات الأحداث المغربية، كتاب الشهر رقم 7، 2004، صفحات (161-173).

4.حجازي مصطفى (2005)، الانسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.

5.عبد الله أحمد (1994) ، قضية الشباب: مصريا وعربيا. إسلاميا ودوليا، مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية، القاهرة.

6.فكار رشدي (1972)، استطلاع حول الفتاة الجامعية، مجلة الباحث (تصدرها وزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصيل وتكوين الأطر)، المغرب، السنة الأولى، المجلد الأول، صفحات (203-235).

7.هارلمبس وهولبورن (2010) ، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، الطبعة الأولى، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

8.Aicha Belarbi (1984): Les attitudes des lycéens et des lycéennes envers la famille, la religion et l'école, Université de Tunis-I, 20 pages.

9.Alioua, Khalid (1984) : «Présent et avenir de l’expression des jeunes au Maroc », In Jeunesse et changement social. Centre des Etudes et de Recherches Economiques et sociales, Tunis, Cahier du CERES, Série sociologique, N° 10.

10.André Adam (1961) : Une enquête auprès de la jeunesse musulmane du Maroc, Aix-en-Provence. V.

11.Ariés, Phillippe (1960): L’enfant et la vie familiale sous l’Ancien Régime, In : Revue française de sociologie, 1960, 1-4.

12.Balandier, Georges (1985): Anthropo-logiques, Paris, PUF, Librairie générale française, Paris.

13.Belghiti, Malika (1969): Les relations féminines et le statut de la femme dans la famille rurale: dans trois villages de la Tessaout.

14.Bennani, J. Et Braconnier, A. (2002): Le temps des ados, Casablanca, Ed. Le Fennec.
15.Bentahar, Mekki (1989): La jeunesse arabe à la recherche de son identité. Edition Al-Kalam.
16.Bourdieu, Pierre (1972): Esquisse d'une théorie de la pratique. Librairie Droz. Genève.
17.Bourdieu, pierre (1984): «La jeunesse n'est qu'un mot». Question de sociologie, Minuit Pris.
18.Bourdieu, Pierre (1992): «*La jeunesse n'est qu'un mot* », Entretien avec Anne –Marie Métailié, paru dans les jeunes et le premier emploi, Paris, association des Ages, 1978, pp. 520-530. Repris in Questions de sociologie, Editions de Minuit, 1984. Ed, pp. 520- 530.
19.Bourdieu, Pierre (1993): « *La jeunesse n'est qu'un mot* », In Questions de sociologie, Ed. CERES, Tunis.
20.Bourqia, R. et Autres (2000): Les jeunes et les valeurs religieuses, Eddif-CODESRIA, Casablanca.
21.Bourqia, Rahma (1995): "La jeunesse: un statut en mutation", In Jeunesse estudiantine marocaine. Valeurs et stratégies. Collectif. Faculté des lettres. Rabat.
22.Bourqia, Rahma et autres (1995): Jeunesse estudiantine marocaine : valeurs et stratégies. Pub. FLSH à Rabat.
23.Bruno de Rotalier (1951): « Les yaouleds (enfants du rues) de Casablanca et leur participation aux émeutes de Décembre», Revue de l'enfance irrégulière, Numéro 4, 2002,http://rhei.org/document 61.html.
24.Chamberdon, J. C (1985) : «Adolescence et post-adolescence*: la juvénilisation, remarques sur les transformations récentes des limites et de la définition sociale de la jeunesse* », in Adolescence terminée, adolescence interminable, (Collectif), Paris, PUF.
25.Chamberdon, J. C. (1985): « Adolescence et post-adolescence: la juvénilisation, remarques sur les transformations récentes des limites et de la définition sociale de la jeunesse », in Adolescence terminée, adolescence interminable, (Collectif), Paris, PUF.
26.Collectif. (1986) : Fruit de la passion, les 20-30 ans se mettent à table, Paris, Les éditions ouvrières.

27.Durkheim, É. (2013). *De la division du travail social*. Paris cedex 14, France : Presses Universitaires de France.
28.El Ayadi et Autres (2006): L'islam au quotidien, Enquête sur les valeurs et les pratiques religieuses au Maroc, Casablanca, Editions Prologues.
29.El Ayadi, M., Rachik H et Tozy, M. (2007) : L'islam au quotidien, enquête sur les valeurs et les pratiques religieuses au Maroc. Casablanca.
30.Firdion, J-M. (2000) : Une Revue de la littérature sur les jeunes sans bonicile. Revue Recherches et Prévisions. N° 60.
31.Galland, Olivier (1990): Les jeunes, Paris, La découverte.
32.Gaudier, Pierre (1977): Action culturelle: Intégration ou subversion, Paris, Casterman.
33.Gauthier, M. (1999): La jeunesse: «un *mot, mais combien de définitions?* » in: M. Guillaume (dir). Les prosses de l'université Laval.
34.Guy, Rocher (1972): Talcot Parsons et la sociologie américaine, PUF, Paris.
35.Hamel, Jacques (1999):« *La jeunesse n'est qu'un mot… petit essai d'épistémologie pratique* », In M. Gauthier, j-F. Guillaume (dir). Les prosses de l'université Laval.
36.Hervé, G. Et Kurrest, T. (1980): Les enfants de fez, Paris, Libres Hatier.
37.Lemoine, Claude (1990): «*L'évolution perturbatrice de la jeune enquête d'identité* », in Adolescence et identité (Collectif), Hommes et perspectives, Marseille.
38.Louis Drin (1999, Septembre-Octobre): « Une Jeunesse qui dur », Sciences humaines (hors-séries), n0 26, pp. 19-23.
39.Mannheim, Karl (1990): Le problème des générations, Nathan.
40.Montagne, Robert (1951): «En marge de la crise marocaine». In Etudes, N° de juin.
41.Morin, Edgar (1991) : L'esprit du temps, Paris, Grasset.
42.Mounia Bennani-Chraïbi (1995): Soumis et rebelles: Les jeunes au Maroc. Editions CNRS, paris & Le fennec (Co- éditeur), Casablanca. Collection Méditerranée. 336 pages.

43.Olivier, Galland (1984): «précarité et entrée dans la vie », Revue française de sociologie, vol. XXV, p 49-65.
44.Olivier, Galland (1991): Sociologie de la jeunesse, L'entrée dans la vie, Paris, A. Colin.
45.Olivier, Galland (1991): Sociologie de la jeunesse, L'entrée dans la vie, Paris, A. Colin.
46.Paul, Pascon et M, Bentahar (1969): Ce que disent 296 jeunes ruraux, Bulletin économique et social du Maroc, Numéro Double, Janvier- juin, XXI- P 112-113.
47.Rachik, Hassan (1991) *" Jeunes et groupes d'âge en milieu rural"*. In Jeunes et société dans les pays du Maghreb, Colloque, Rabat, Faculté des sciences de l'éducation.
48.Rachik, Hassan (2005): Rapport de synthèse de l'enquête Nationale sur les valeurs, Cinquantenaire de L'indépendance du Royaume du Maroc.
49.Robert, Castel (1994): "Les Dynamiques de processus de marginalisation". Cahier de Recherche sociologique: n° 22.
50.Ronald Inglehart (1990): Culture Shift in Advanced Industial Society, Princeton University Press.
51.Rossin William. Monod J.,(1968): Les Barjots. Essai d'ethnologie des bandes de jeunes. In: Revue française de sociologie, 9-4. pp. 582-584.
52.Selosse, Jacques (1963, Avril- Juin): «Perception du changement social par une population citadine marocaine ». Revue française de sociologie, 4éme année, n° 2.
53.Simiot, Bernard (1955): « Espoirs et tourments de la jeunesse marocaine ». In Extrait du Hommes et Mondes, N° 104, Mars.
54.Szpakowska, Janna Karla (1988): Jeunes gens : essai systématisation des connaissances spécifiques à la classe d'âge 13-25 ans, Université de Montréal.
55.Teles, N. (1999): «Une réflexion sur les théories de la jeunesse », In Définir la jeunesse ? D'un bout à l'autre monde. M. Gauthier, J-F. Guillaume (dir). Les presses de l'université Laval.
56.Trystram, Jean Paul (1963): L'ouvrier mineur au Maroc, Paris, Larose.